

جامعة البليدة 2 علي لونيبي
كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم علم الاجتماع

المطبوعة

المقياس: النظريات السوسولوجية الحديثة
المستوى: السنة الثانية ليسانس
التخصص: علم الاجتماع

من اعداد:
أ. رابح شحات

2020



جامعة البليدة 02 علي لونيبي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم علم الاجتماع والديمقراطية

المطبوعة

المقياس : النظريات السوسولوجية الحديثة
المستوى : السنة الثانية ليسانس
التخصص : علم الاجتماع

من إعداد الأستاذ :

رابح شحات

2020



محاضرات مقياس : النظريات السوسيولوجية الحديثة

مستوى السنة الثانية
تخصص علم الاجتماع



برنامج مقياس: النظريات السوسيولوجية الحديثة

مستوى السنة الثانية : علم الاجتماع

المحور الأول: النظريات والقوانين العلمية

المحور الثاني: النظرية البنائية الوظيفية

المحور الثالث: النظرية الماركسية المحدثّة أو الصراع الاجتماعي

المحور الرابع: النظرية النقدية، (مدرسة فرانكفورت)

المحور الخامس: التفاعلية الرمزية

المحور السادس: الاتجاه الفينومينولوجي

المحور السابع: نظرية التمثيل المسرحي

المحور الثامن: النظرية السوسيولوجية في مرحلة ما بعد الحداثة

المحاضرة رقم 01:

النظريات والقوانين العلمية

لا نستطيع فهم النظريات والقوانين العلمية دون فهم واستيعاب الفرضيات والمفاهيم التي تشكل المادة الأساسية للنظريات والقوانين. فالفرضية هي مجموعة من الأفكار والآراء والمفاهيم والحقائق غير المبرهنة وغير المعززة بالأرقام والبيانات والحجج الإحصائية والرياضية التي تثبت صحتها وواقعيتها وموضوعيتها وقدرتها على تفسير جانب من جوانب الواقع الاجتماعي أو الحياة العقلية والسلوكية التي تميز الأفراد والجماعات في المجتمع. والفرضية تبني من الأفكار والآراء التي يكتسبها الأفراد من بيئتهم وواقعهم ومن تجارب احتكاكهم

وتفاعلهم مع الآخرين ومن مصالحهم الشخصية وطموحاتهم الحياتية وخصائلهم الخلقية المتميزة. ولا يمكن اعتبار هذه الأفكار والآراء التي يتمسك بها الأفراد صحيحة أو غير صحيحة نظراً لكونها معبرة عن حياتهم الذاتية والنفسية. ولكن هذه الأفكار والآراء يمكن أن تتحول إلى فرضية أو فرضيات فيما إذا رتبت ترتيباً عقلانياً وعلمياً ودونت بأسلوب كتابي متميز يعبر تعبيراً واضحاً عن أفكار وآراء الكاتب تجاه قضية أو ظاهرة أو موضوع معين! والفرضيات كثيرة ومتعددة فهي تصنف إلى أبواب مختلفة تتعلق بجوانب الحياة المختلفة أو تتعلق بالعلوم التي اهتدى إليها الإنسان منذ بداية الخليفة ولحد الآن. ولكل علم فرضياته الأكاديمية الصرفة التي يهتم بها ويحاول اختبارها وتجربتها لكي تتحول إلى نظريات قادرة على تفسير بعض الظواهر العلمية التي تحتاج إلى فهم وإدراك كاملين؛ نظريات يمكن أن تستعمل في حل المشكلات والملازمات الموضوعية التي يعاني منها الإنسان والمجتمع. وتتحول الفرضية إلى نظرية إذا استطاع العالم أو المختص

برهان صحتها وإثبات مفاهيمها من خلال اجراء الدراسة النظرية او الميدانية". ويمكن تحويل النظرية الى قانون كوني اذا كانت قادرة على تفسير الظاهرة او النظام او المشكلة تفسيراً منطقياً وعلمياً وعقلانياً مهما تكن ظروف وملابسات واجواء الظاهرة او المشكلة ومهما يكن موقعها الزمني او المكاني ("). والقانون الكوني يتمتع بدرجة عالية من الصحة والثبات من حيث حقائقه وتماسكه وعلميته ودرجة عقلانيته.

النظريات العلمية (scientific theories)

إن اصطلاح نظرية هو من المصطلحات الغامضة التي لا يستطيع العالم استعماله استعمالاً دقيقاً وصحيحاً في كتاباته وبحوثه؛ فقد يشير الاصطلاح الى النظام التجريدي الذي يجمع بين الافكار ويوحد بينها ويضعها في قالب يعكس معنى المفاهيم التي يطرحها العالم في سياق ابحاثه الاكاديمية. اما معنى النظرية الاجتماعية فقد كان متعلقاً بالدراسات الفلسفية والسياسية. فقد استعمل اصطلاح النظرية الاجتماعية لأول مرة للتعبير عن نظرية الدولة؛ هذه النظرية التي اهتمت بدراسة اصل نشوء الدول الحديثة مع التبريرات الفلسفية والعلمية للأشكال التي تتخذها. وهناك مجموعة من المؤلفات والكتابات الانبية التي يمكن ان توضع تحت عنوان النظرية الاجتماعية او تحت عنوان تاريخ الفكر. ولكن لما كانت هذه المؤلفات والكتابات تدور حول طبيعة العلاقات الانسانية والمجتمع البشري فمن المستحسن استعمال اصطلاح النظرية الاجتماعية لوصفها وتحليلها والتعبير عنها.

فمثلاً كتاب " من التاريخ الى علم الاجتماع " الذي هو دراسة في تبديل الفكر التاريخي الالمانى لمؤلفه كارلو أنتوني وكتاب " الوعي والمجتمع " لمؤلفه د. هيزور هي كتب تتعلق بالنظرية الاجتماعية (social theory) وذلك لقرب مواضيعها من مواضيع النظرية السوسيولوجية (sociological theory) علماً بأن النظرية الاخيرة يمكن تمييزها عن النظرية الاجتماعية من حيث تركيزها على الطرق المنهجية المتعلقة بدراسات البنيات والانظمة والعلاقات الاجتماعية.

لكن الباحث يكون النظرية العلمية ليستعملها في تفسير ظواهر وتفاعلات وملازمات الموضوع الذي ينوي دراسته وفحصه. والنظرية العلمية هي نظرية نسبية قابلة للتعديل والتغيير. فكم من نظرية علمية قبل بصحتها واستمرت كذلك قائمة فترة طويلة؛ وصلت الى قرون احياناً؛ ثم ثبت خطأها بعد اجراء المزيد من الدراسة؛ خصوصاً بعد ظهور اكتشافات جديدة غيرت من وجهات النظر القائمة.

والقت ضواء على جوانب لم تكن واضحة عند الدراسة الاولى للموضوع. ويجب ان ننتبه الى ان اي تقدم علمي في ميدان من ميادين المعرفة كثيراً ما يغير من النظريات القائمة في ميدان آخر". ذلك ان الافكار الانسانية مهما تشعبت وتفرعت الى ميادين انما تؤلف كلا متكامل يعكس تكامل الحياة وترابطها. ومن الجدير بالإشارة في هذا المجال ان النظرة العلمية الحديثة تعتبر الكثير من النظريات القديمة مجرد فروض علمية كنظرية بطليموس في تفسيره للأجرام السماوية؛ والنقي ظلت قروناً عديدة مرجعاً لدارسي الفلك حتى ثبت خطأها ونظرية نيوتن في الذرة والتي اعتمد عليها العلماء من بعده فترة طويلة في تفسير كثير من الظواهر الفيزيائية والنووية ثم ثبت خطأها ايضاً. ان النظرية العلمية لا تقتصر على مجرد الانسجام والاتساق المنطقي بين حجمها وبياناتها وانما تتعدى ذلك الى التحقيق العلمي الناتج من اختبار انلتها وافتراضاتها اختباراً يعتمد على التجربة والقياس وغيرها من وسائل البحث العلمي. لكن النظرية تأتي نتيجة بحث علمي متكامل متوفر فيه جميع شروط البحث العلمي؛ ومن ثم تكون قادرة على الكشف عن العلاقات الوظيفية بين ظواهر معينة وتفسيرها وتوضيح المبادئ والقوانين المنظمة لها.

يستطيع علم الاحصاء مساعدتنا في اجراء الدراسات العلمية التي تهدف الى برهان الفرضيات وتحويلها الى نظريات علمية". فالباحث الاجتماعي مثلاً يستطيع برهان الفرضية التي تدعي بأن حجم العائلة يعتمد على خلفيتها الاجتماعية والطبقية وذلك من خلال اجراء دراسة ميدانية عن الموضوع.

والدراسة هذه تتوخى اختبار صحة الفرضية وتحويلها الى نظرية بعد جمع الاللة والبراهين الكافية عنها من الميدان الاجتماعي. فالدراسة قد تختار عينات من عوائل المجتمع وتصمم ورقة استبيانيه تطرح فيها مجموعة من الاسئلة تكرر حول اثر الخلفية الاجتماعية والطبقية في حجم العائلة. ويعد مقابلة عائلات العينة مقابلة رسمية وغير رسمية تبوب المعلومات الاحصائية وتكون منها الجداول التي تحلل معلوماتها تحليلاً علمياً وعقلاً يساعده الباحث على الوصول الى النتائج النهائية للبحث. وهذه النتائج قد تشير الى ان حجم العائلة يعتمد على خلفيتها الاجتماعية والطبقية او يعتمد على عوامل وقوى اخرى. فاذا كانت نتائج البحث تشير الى ان عامل الخلفية الاجتماعية والطبقية هو من العوامل المهمة والاساسية التي تحدد حجم العائلة فان الفرضية تتحول الى نظرية علمية. اما اذا كانت النتائج تشير الى عكس هذا فلا يمكن هنا تحويل الفرضية الى نظرية مطلقاً. النظرية ان هي مجموعة من الافكار والحقائق العقلانية والنظامية التي تم برهانها واثباتها علمياً بعد اجراء الدراسة الاكاديمية او الميدانية.

محاضرة رقم 02:

شروط النظرية العلمية :

لكي تكون النظرية علمية وقادرة على تفسير الظواهر والعلاقات والتغيرات والملابسات التي تتعلق بموضوعها ومادتها يجب ان تتوفر فيها الشروط الآتية:

1. يجب ان تكون افكار ومبادئ ومفاهيم النظرية مترابطة ومتكاملة بحيث تخلق مادتها من التناقض والتضارب.

2. يجب ان تكون النظرية معبرة عن فكرة او افكار او مبادئ واضحة ومركزة ومتسلسلة تسلسلاً نظامياً ومنطقياً بعيداً عن التعقيد والتشوش والارتباك.

3. ينبغي ان تكون المادة العلمية للنظرية مشتقة من طبيعة الواقع الاجتماعي الذي توجد فيه؛ وينبغي ان لا تكون معتمدة على افكار فلسفية او لاهوتية او ذاتية حيث ان مثل هذه الافكار لا تخضع الى اساليب التحليل والتجريب والفحص الميداني الموضوعي". كما يجب ان تكون النظرية قادرة على معالجة سلبيات وتناقضات الواقع الذي اشتقت منه مانتها الاساسية معالجة موضوعية وحقيقية.

4. على النظرية ان تكون قادرة وممكنة من تفسير جميع الظواهر والملابسات التي تهتم بدراستها وتحليلها والتفسير ينبغي ان يكون عقلانياً ومستمداً من طبيعة الظاهرة او المشكلة المدروسة وليس من رات وتخيالات ومقاصد واهواء ومصالح الباحث الذي يقوم بدراستها والاهتمام بها.

5. ينبغي ان تكون صحة النظرية نسبية وليس مطلقة!". كما يجب ان تكون قابلة للتغيير والتعديل تبعاً لتغير الظروف الموضوعية والعوامل الفاعلة التي تحدد درجة قوتها وزخمها.

6. النظرية الجيدة والصحيحة هي النظرية التي تتوصل الى نفس الحقائق والاستنتاجات اذا تركزت دراستها وفحوصها واثباتاتها خلال فترات زمنية مختلفة وفي اماكن جغرافية مختلفة".

7. يجب ان تتفرد النظرية بتفسير الحقائق التي تشمل عليها. فوجود نظرية اخرى تفسر نفس الحقائق التي تفسرها النظرية الاولى يضعف الاهمية العلمية للنظريتين. ومن الجدير بالملاحظة ان تقدم الدراسة والبحث في موضوع ما يؤدي الى اختفاء ظاهرة التفاوت الكبير بين النظريات.

وظائف النظرية العلمية:

لجميع النظريات العلمية وظائف اساسية ومهمة مهما تكن المواضيع والدروس التي نكتشفها. ولولا وظائف النظريات التي تقدمها للباحثين وللعلم لما ظهرت وتطورت وتغيرت بين فترة واخرى. ونستطيع تلخيص وظائف النظرية العلمية بالنقاط التالية:

1. تساعد النظرية على نضوج واكتمال العلم» فجميع العلوم الطبيعية والاجتماعية

مكونة من نظريات اخصائية تهتم بتفسير وتوضيح الجوانب المختلفة لمواضيعها وموادها العلمية والمنهجية. فكلما كانت نظريات علم من العلوم كثيرة ومتشعبة كلما كان العلم ناضجاً وقادراً على تفسير ظواهره وعلاقاته وتفاعلات عناصره التي تهتم بدراستها وتحليلها. وكلما كانت نظريات العلم قليلة وضعيفة كلما كان العلم فتياً وغير قادر على تفسير ظواهره وعناصره التكوينية وبالتالي غير متمكن من معالجة مشاكل وسلبيات الانسان والمجتمع.

2. تقوم النظرية العلمية بتفسير الظواهر الواضحة والغامضة والتفاعلات الاساسية والثانوية والعوامل الموضوعية والذاتية لعلم من العلوم. ومثل هذا التفسير والشرح يمكن العلم من استيعاب المشكلات والتناقضات التي تقع في حقل من حقول المجتمع. وبعد استيعابها والالمام بجوانبها تستطيع معالجتها معالجة موضوعية تدفع المجتمع الى التطور والنمو والازدهار.

3. تتكون النظرية من المفاهيم والمصطلحات الفنية التي لا غنى عنها لأي علم من العلوم. وعندما تتكاثر وتتضاعف النظريات تزداد المفاهيم والمصطلحات التي نكتشفها النظريات ويتم العلم نمواً سريعاً. ان كل مفهوم او مصطلح يتضمن خبرة اجتماعية.

وعلمية طويلة؛ وهو بمثابة تلخيص لكثير من الحقائق التي تتكون منها النظرية العلمية.

4. تحدد النظرية ميادين الدراسة في مختلف العلوم؛ كما تحدد نوع الحقائق التي ينبغي ان يتجه اليها الباحث في ميدان دراسته.

وبدون النظرية تتداخل ميادين البحث وتتلاشى الحدود التي تفصل بعضها عن البعض الآخر.

القوانين العلمية:

القانون هو عبارة عن علاقة ضرورية تقوم بين ظاهرتين او اكثر. فعندما نقول بأن الظاهرة أ سببت وقوع الظاهرة ب فإننا نعني بأن وقوع الظاهرة أ كان قبل وقوع الظاهرة ب اي ان الظاهرة ب تعتمد على ظاهرة أ . اذن توجد هناك علاقة جدلية ومنطقية بين الظاهرتين. والقوانين تقسم الى قسمين القوانين السببية (causal laws) والقوانين الوظيفية (functional laws) القوانين السببية هي الاحكام الموضوعية والعقلانية التي تفسر العلاقة الجدلية والمنطقية بين حادثتين او ظاهرتين . الحادثة المستقلة والحادثة المعتمدة التي يعتمد وقوعها على وجود الحادثة المستقلة. فالقانون الذي ينص على ان المطر يعتمد على التبخر والتبخر يعتمد على الحرارة هو قانون سبي عقلائي يربط بين ظاهرة مستقلة كالحرارة مثلاً وظاهرة معتمدة كالتبخر او المطر. اما القوانين الوظيفية فتعبر عن العلاقات بين الظواهر دون ان تشرح تلك الظواهر من الناحية السببية .وتعبر العلاقة الوظيفية عن كل ترابط بين ظاهرتين توجدان في آن واحد وتتغيران تغيراً نسبياً بحيث تعتبر كل منها شرطاً من شروط وجود الاخرى دون امكان القول بأن احدهما سبب والاخرى نتيجة. والقوانين الوظيفية تكثر في العلوم الاجتماعية وتكون صحتها اعلى نسبياً من صحة القوانين السببية وذلك لتعدد الظواهر الاجتماعية وكثرة الاسباب والمتغيرات التي تؤثر فيها. بينما تكثر القوانين السببية في العلوم الطبيعية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء نظراً لوضوح ظواهرها وترابط الاشياء والمواد التي تدرسها ترابطاً عقلائياً وسببياً يمكن تفسيره بالسبب والنتيجة (cause and effect) . فهناك الكثير من الظواهر الطبيعية يمكن أن تفسر بالسبب الواحد مثلاً تنقلص المعادن بانخفاض درجات الحرارة وتتمدد بارتفاع درجات الحرارة. بينما لا يمكن تفسير الظواهر الاجتماعية كالطبقة ا الجريمة او السلوك الاجتماعي او

الانتحار أو ازدحام السكان في المدن أو التعاون أو التنافس أو المركزية واللامركزية بالسبب الواحد فلو اخذنا ظاهرة الطبقة مثلاً لوجدنا بأن هناك عدة عوامل تؤثر في انتماء الشخص لطبقة أو فئة أو شريحة اجتماعية دون الطبقة أو الفئة أو الشريحة الأخرى. ومن أهم هذه العوامل الدخل والملكية؛ الثقافة والتربية والتعليم؛ المهنة؛ المنطقة السكنية؛ لقب العائلة؛ اللغة والمظهر الخارجي؛ القيم والمقاييس والمصالح والأهداف... الخ

جميع هذه العوامل مجتمعة تساعدنا على معرفة الطبقة أو الشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد في المجتمع العصري الحديث. بينما اللجوء إلى السبب الواحد في تفسير ظاهرة الطبقة كالجوء إلى العامل المادي أو الاقتصادي مثلاً في قياس المكانة والفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد لا يمكن أن يساعدنا في معرفة طبقته ومكانته الاجتماعية. حيث أن ظاهرة الطبقة هي ظاهرة معقدة وشائكة ولا يمكن فهمها وتعرية ملاساتها بدراسة العامل الواحد. وكذلك الحال بالنسبة للظواهر الاجتماعية الأخرى.

إن العلوم الاجتماعية لم تستطع لحد الآن اكتشاف القوانين السببية الثابتة التي تعرفها العلوم الطبيعية ولم تتمكن من بناء وتكوين القوانين الواضحة التي تستطيع تفسير ظواهرها والأشياء التي تدرسها تفسيراً منطقياً وعلمياً وذلك لصعوبة حقولها الدراسية وكثرة العوامل والمتغيرات التي تؤثر فيها ودراساتها لجوانب المجتمع المختلفة التي يلعب فيها الإنسان الدور الأساسي والمهم في عملية تنظيمها وتحديد قوانينها ونشاطاتها. فهي تستطيع وضع التعميمات السببية وليس القوانين السببية؛ فالعالم الاجتماعي يستطيع القول بأن الحادثة أ تولد الحادثة ب ولكنه لا يستطيع التكهّن على أن الحادثة أ يجب أن تولد الحادثة ب طالما أن وقوع الحوادث التي تكمن في القانون تستلزم وجود نظريات ثابتة.

والعلوم الاجتماعية في الوقت الحاضر تفتقد إلى مثل هذه النظريات. لهذا تختلف التفسيرات السببية للعلوم الاجتماعية عن تلك التي تطرحها العلوم الطبيعية طالما أن للعلوم الطبيعية نظريات ثابتة تستطيع تفسير الظواهر والحوادث تفسيراً سببياً علمياً.

والقوانين الوظيفية الكونية في علم الاجتماع كثيرة ومتفرعة وتدخل تقريباً في جميع حقوله واختصاصاته الضيقة؛ ومن هذه القوانين ما يلي:

أ - يتحول المجتمع البشري من مجتمع بسيط الى مجتمع مركب ومن مجتمع مركب الى مجتمع معقد.

ب - يستطيع المجتمع احراز التقدم الاقتصادي السريع اذا توازنت كمية الموارد الطبيعية مع كمية السكان.

ج - تزداد نسب الانتحار كلما تقدم المجتمع في الحقول المادية والحضارية والتكنولوجية والعلمية ونقل في المجتمعات المتخلفة والنامية.

د - كلما تقدم المجتمع مادياً وحضارياً وتكنولوجياً كلما اصبحت العلاقات الاجتماعية رسمية وضعيفة.

هـ - تزداد نسب الجرائم في المجتمعات التي يلعب فيها الدين دوراً هامشياً وثانوياً. ومن الجدير بالملاحظة ان كثرة القوانين الكونية في العلم تشير الى نضوجه واكتماله وفاعليته في تفسير الظواهر والمشكلات التي تجابه نطاقه النظري او العملي.

محاضرة رقم 03

شروط القوانين العلمية:

لكي تعتبر القوانين علمية وقادرة على تفسير جميع الظواهر والحوادث والعلاقات التي يهتم العلم بدراستها وتحليلها في مختلف الاماكن والازمنة يجب ان تتوفر فيها الشروط التالية:

1. يجب ان تكون القوانين العلمية نسبية في صحتها وليس مطلقة اي يجب ان تكون مستعدة على التغيير والتبديل والتحوير تبعاً لتغيير وتبديل الظروف والعوامل والملاسات المتعلقة بالمواد التي تدرسها وتتخصص في تحليلها وتفسيرها وتحديد مضامينها وابعادها.

2. ينبغي ان تكون القوانين العلمية قادرة على تفسير جميع الظواهر والظروف والعلاقات التي تهتم بدراستها ويجب ان تكون تفسيراتها وشروحاتها دقيقة ومركزة وشاملة ومستمدة من طبيعة الشيء الذي تفسره وتكرسه وتهتم به.

3. يجب ان تكون القوانين مكملة الواحد للآخر وفي حالة اكتشاف قوانين جديدة .
فان القوانين القديمة يجب ان تحافظ على منزلتها وشكلها السابق وشريطة ان تكون كفوة
وقادرة على شرح وتوضيح حقائق الاشياء وملابساتها". ومن الجدير بالملاحظة ان زيادة
قوانين العلم تعني نضوجه واتساع امكانياته في مساعدة الانسان على التغلب على مشاكله
وسلبياته.

4. قابلية القوانين على تنبؤ الحوادث والظواهر قبل وقوعها. فاذا ظهر ان هذه
الانتميوآت صحيحة ودقيقة ازدادت القوانين قوة وبقينا في كشف حقيقة الظاهرة او
الحادثة قبل وقوعها.
وظائف القوانين العلمية :

1. تساعد القوانين العلمية الباحثين والمختصين والعلماء على اشتقاق الفرضيات والنظريات
الجديدة التي سرعان ما تتحول الى قوانين كونية شمولية اذا استطاع العلماء برهان صحتها
ونائجها من خلال اجرائهم البحوث الاكاديمية او الميدانية. وهذا معناه بأن القوانين نفسها
تساعد على خلق قوانين جديدة تلعب الدور الكبير في تطوير العلم واتساع آفاقه النظرية
والتطبيقية.

2. تستعمل القوانين في حل المشكلات الطبيعية والاجتماعية التي تواجه الانسان حيث ان
الغرض الاساس من اكتشاف وانتشار القوانين العلمية هو استعمالها في فهم التناقضات
والملاسات وكشف الحقائق التي توصل الانسان الى التقدم والرفاهية والسعادة والازدهار.

3. تكشف لنا القوانين الكثير من الحقائق والمفاهيم والآراء والافكار التي يكتنفها العلم. فبدلاً
من دراسة وحصر وتعداد هذه الحقائق والمفاهيم المتفرقة والمتشعبة نستطيع استيعابها وادراك
مضامينها من خلال اطلعنا على القوانين التي تكتنفها. لذا فالقوانين توفر لنا الوقت والجهد
عند دراسة الحقائق والمفاهيم العلمية والاطلاع على تطورها وبلورتها.

4. تساعدنا القوانين على تتبؤ ما سيطرأ على الظواهر من تغييرات في المستقبل.
وقد هيات هذه المعرفة للإنسان سبيل السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمة البشرية والتنبؤ
بالمشكلات قبل وقوعها ورسم احسن الحلول لمواجهتها والتغلب عليها.

5. لما كانت القوانين تتخصص في دراسة وتحليل ووصف مواد مختلفة لعلم واحد او
مجموعة علوم فإنها تلعب الدور الكبير في وضع الحدود الاكاديمية والنظرية بين مواضيع
العلم الواحد من جهة وبين العلوم المختلفة من جهة اخرى . وهنا يعرف المختص او العالم
حدود اختصاصه وعلمه ولا يتدخل في الاختصاصات والعلوم الاخرى. وتخصص العالم في
حقل دراسي معين سيساعده على الابداع في هذا الحقل والبروز فيه بعد ان يتوصل إلى
اكتشاف نظريات او مفاهيم جديدة تضاف الى النظريات والمفاهيم المعروفة.
وهنا يستطيع العالم احرار التقدم والنمو المستمرين بسبب اعتماد نظام تقسيم العمل
والتخصص فيه. ولكن اعتماد هذا النظام لا يمكن ان يكون دون وجود القوانين العلمية التي
تفصل بين الاختصاصات الدراسية والحقول العلمية.

- أن المواضيع الاجتماعية تتعلق بالغالب بظواهر مجردة ، مختلفة في طبيعتها وأسبابها وتعبر عن الوقائع والأحداث ، أي أنها ليست مواضيع ملموسة مجسدة في أشياء مادية .

- أن المواضيع الاجتماعية لا تخضع لعلاقات ثابتة ، لأنها مواضيع متغيرة نسبية ، أي أنه لا يحكمها مبدأ السببية الذي يستلزم أن يكون وجود السبب يؤدي حتماً إلى نتيجة مطردة.

- تعقد الظاهرة الاجتماعية وتشابك أسبابها " عواملها " تجعل من الصعوبة الإمكان عزل الأسباب وقياس تأثيرها مما يستبعد تفسيرها بعامل واحد.

أن تغير الظواهر الاجتماعية ونسبية النتائج المتوصل إليها وتداخل أسبابها تؤدي إلى اختلاف التفسير ، وهذا ما يترتب عليه تعدد النظريات المفسرة للموضوع الواحد ، بل قد تختلف وتتعارض وذلك لأن كل نظرية لها مبادئها وأسسها في عملية التفسير ، وبصفة عامة فإن النظرية تحقق بالنسبة للباحث هدفين متكاملين:

* الوصف : وتعني به دراسة الظاهرة وتحليلها وتوفير المعلومات والمعارف العلمية وفهمها .

* التفسير : تعتبر النظرية كمجموعة من القضايا والتعميمات التفسيرية.

وهذا يقتضي ابتداء توضيح الكيفية التي يتناول بها هذا العلم (علم الاجتماع) موضوعه العام ، والوظائف الأساسية العلمية والمجتمعية التي عليه الوفاء بها والتي تجعل لوجوده معنى ودلالة بالنسبة للعلوم الأخرى على اعتبار أن هذه بمثابة الأرضية الأساسية التي ينبغي على نظرية علم الاجتماع أن تقوم عليها وتتحرك وفقها وخلالها.

المحاضرة رقم (4):

2- النظرية البنائية الوظيفية :

لما نتعرض للوظيفية بالدرس والتحليل والفهم علينا اخذ بعين الاعتبار أن للنظرية جذور فكرية إبستمولوجية ومعرفية تسبق تحول الوظيفية إلى نظرية ، فالنظرية

الوظيفية هي نظرية جزئية وليست كلية في علم الاجتماع مقارنة بالنظرية الماركسية ، وسنعرض في هذا الجزء النظرية البنائية الوظيفية وتطورها.

2-1 الجذور الفكرية لتطور النظرية البنائية الوظيفية:

تعد النظرية البنائية الوظيفية واحدة من النماذج النظرية الأساسية في علم الاجتماع ، وقد انتقلت فكرة الوظيفية الصينيين عند "كونفشيوس" (Confucius) وتلاميذه ، حيث اهتم الفكر الصيني القديم بوظيفة الدين والطبوس الدينية في الحياة الاجتماعية مع الإشارة إلى دور الدين كرابطة ضرورية للعلاقات الاجتماعية وتنظيمها ، وإذا ما اتبعنا البدايات الأولى للبنائية الوظيفية لوجدنا أن "أفلاطون" استخدم المماثلة العضوية حين ماثل بين المجتمع وقوى النفس : العاقلة والغضبية والشهوية ، كما وظفها "الفراي" - المماثلة العضوية - في "المدينة الفاضلة حيث شبه المجتمع بأعضاء الجسم تلك التي قابلها بطبقات الدولة الحاكمة والحارسة والعاملة .

ومع ظهور الفلسفات الحديثة تطورت فكرة المماثلة لعضوية عند الفلاسفة الأخلاقيين كـ "دافيد هيوم" (david hume) و "ادم سميث" وغيرهم إذ نظروا إلى المجتمع على أنه نسق طبيعي باعتباره كائنا عضويا طبيعيا ، ولقد ظهرت فكرة النسق بمعناها العلمي في كتابات "مونتسكيو" (Montesquieu) وبخاصة في كتاب روح القوانين ، حيث أرسى في هذا الكتاب أسس نظرية النسق الاجتماعي الكلي بناء على ارتباط أجزاء المجتمع ارتباطا وظيفيا ، وأصبحت فكرة النسق الاجتماعي الكلي هي حجر الزاوية في علم الاجتماع⁽¹⁾.

ولقد كان رواد علم الاجتماع مثل "أوجيست كونت" و "هربرت سبنسر" (1820-1903) متأثرين بأوجه التشابه التي لاحظوها بين الكائنات البيولوجية الحية وبين الحياة الاجتماعية .

(1) قباري محمد إسماعيل : فضايا علم الاجتماع المعاصر "دراسة تحليلية نقدية" ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1976 ، ص 357.

وقد اعتمد "سبنسر" بصفة خاصة على المبدأ المعروف بالمماثلة العضوية أي إلى تشبه المجتمع بالكائن الحي .

فالجسم الإنساني بوصفه نسقا يتكون من أعضاء مترابطة ومتفاعلة وظيفيا القلب والمخ والأطراف وغير ذلك ، وكل عضو من هذه الأعضاء يؤدي وظيفة أو عدة وظائف أساسية تساهم في بقاء الكائن الحي أو النوع الذي ينتمي إليه الكائن. وبذلك فهم علماء الاجتماع الوظيفيون النظم الاجتماعية بوصفها مماثلة للكائنات العضوية على أساس أن تلك البنيات الاجتماعية تشبع وتحقق المتطلبات الضرورية لبقاء المجتمع واستمراره⁽²⁾.

2-2 تعريف النظرية البنائية الوظيفية:

هي ذلك الدور الذي يؤديه الجزء في الحياة الاجتماعية وفي الكل الاجتماعي والذي هو البناء الذي يتألف من أجزاء وانساق اجتماعية تتوافق فيما بينها ، وترجع تسمية هذا الاتجاه إلى استخدامه لمفهومي البناء والوظيفة في فهم المجتمع وتحليله من خلال مقارنته وتشبيهه بالكائن العضوي أو الجسم الحي ، ويعد هاذين المفهومين العمود الفقري لهذا الاتجاه:

أ- يقصد بالبناء الاجتماعي مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خلال الأدوار الاجتماعية، فثمة مجموعة أجزاء مرتبة متسقة تتداخل في تشكيل الكل الاجتماعي، وتتحد بالأشخاص والرمز والجماعات وما ينتج عنها من علاقات وفقا لأدوارها الاجتماعية التي يرسمها لها الكل وهو البناء الاجتماعي⁽¹⁾.

ب- ويقصد بالوظيفة الاجتماعية ذلك الدور الذي يسهم به الجزء في الكل هذا هو القدر المتفق عليه أنصار الاتجاه ، ويستخدم "باريتو" (f.pareto) احد رواد هذا الاتجاه الوظيفة بمعنى المنفعة هنا مرتين : مرة على أنها إضافة أو إسهام

(2) محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص90.

(1) احمد أبو زيد: البناء الاجتماعي "مدخل لدراسة المجتمع، المفاهيم" ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، 1965 ص23.

تقوم به ظاهرة بعينها لتأكيد هدف بعينه وانجازه ، ومرة بوصفها إشباعا حقيقيا أو مفترضا بقصد توكيد الحالة الراهنة لنسق الاجتماعي والمحافظة عليه⁽²⁾.

محاضرة رقم (5)

2-3 الدعائم الأساسية التي تستند عليها البنائية الوظيفية:

منذ نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات تبلورت الوظيفية كنظرية وتصور بوجه عمليات البحث في علم الاجتماع الغربي ، وذلك عندما نشر "الكوت بارسونز" (T.parsons) كتابه (بناء الفعل الاجتماعي (1937) ، وتقوم النظرية البنائية الوظيفية كغيرها من النظريات السوسيولوجية على عدد من المسلمات والأفكار الأساسية لفهم الواقع الاجتماعي وتفسيره ومن أهم هذه الأفكار ما يلي :

1 - العلاقة بين الفرد والمجتمع: إن الأفراد في التصور الوظيفي يستجيبوا لمتطلبات مجتمعاتهم، يجدون مكانهم في إطار النظام الاجتماعي العام ، وهم يتجهون إلى الارتباط بالوضع الذي يحدده المجتمع لهم، أنهم يستطيعون التغيير لكن هذا التغيير لا بد أن يتم بالطريقة التي يرسمها المجتمع لهم ويحددها، ومن ثم فإن المجتمع بالنسبة للاتجاه الوظيفي هو العنصر الفاعل والنشط في التاريخ بينما دور الأفراد يتسم بالتبعية والسلبية ، أن الأفراد خاضعون إلى حد بعيد إلى الضغوط التي تفرضها مجتمعاتهم عليهم حتى يتمكنوا من الامتثال للتوقعات الاجتماعية ، وهم في معظم الأحيان يعكسون في تصرفاتهم هذه الضغوط التي يطيعونها ويمثلون بها ، وحتى إن أراد البعض أن يتصرف وفقا لإرادته وبطريقة مختلفة فإن هذا التصرف الفردي يمثل في نهاية الأمر للتعريفات الاجتماعية لما هو مقبول ومسموح به ، وما هو مرفوض ومكروه بالنسبة للمجتمع.

⁽²⁾ Soperato, J; Functional Reappraisal of Pareto's Sociology in American Sociological Review , Vol. 69, No. 6, 1969, p -64 0

أن الأفراد بالنسبة للاتجاه الوظيفي هم مجرد أدوات للمجتمع وملكيّات خاصة به ،(نفي إرادة التغيير أو حتى قدرة الفرد على تغيير واقع) ومن الواضح أن هذه المسلمة تمتد من فكرة "اميل دوركايم " ونزعتة السوسيولوجية الواقعية بل أكثر من ذلك أنها بعث جديد لمسلمة أساسية من مسلمات الفلسفة المضادة للتنوير⁽¹⁾.

2 - النسق الاجتماعي : يعتبر مفهوم النسق الاجتماعي من بين المفاهيم الأساسية للنظرية البنائية الوظيفية التقليدية أو المعاصرة ،

حيث يفهم هذا الاتجاه المجتمع بوصفه "نسقا" يتم بسمات أساسا هي التوازن والتجديد والترابط ، فالنسق الاجتماعي هو نسق متوازن (غير متصارع) أو هو يتجه باستمرار نحو التوازن والتعادل ، وهنا فإن أي قوى تهدد استقرار النسق وتوازنه تصبح موضوعا لفعل القصور الذاتي لأجزاء النسق الأخرى .

إن هذا النموذج التعادلي أو التوازني يمثل عنصرا أساسيا من عناصر التصور الوظيفي للمجتمع ، ويمكن أن يوجد له نظير في نظر الوظيفيين حتى في العمليات الفيزيائية البسيطة ، مثلا : أنك إن دفعت أرجوحة الى أسفل فإن الطرف الآخر سوف يرتفع إلى الأعلى وسوف تستمر العملية بالقصور الذاتي حتى تتوازن الأرجوحة من جديد بفعل هذا القصور.

أما السمة الثانية للنسق فهي سمة - التجديد - بمعنى انه يمكن تحديد العناصر الداخلية والمكونة للنسق وتمييزها عن تلك العناصر الخارجة عنها أو التي لا تشكل أجزاء من مكوناته فبجانب المحافظة على التوازن النسق ينبغي إما المحافظة على تحديده أو حدوده ومكوناته أو تغييرها تدريجيا وببطء (نفي إمكانية التغيير الجذري للمجتمع لأنه يؤدي إلى عدم التوازن النسق الاجتماعي).

(1) محمود عودة : أسس علم الاجتماع، نفس المرجع ، ص92.

وتعني السمة التالية - الترابط - أن جميع عناصر النسق الاجتماعي ترتبط ببعضها البعض بحيث:

- انه إذا طرأ تغير على عنصر واحد من هذه العناصر فان على الجميع العناصر الأخرى أن تتغير استجابة لذلك.

- أن كل جزء يرتبط بالأجزاء الأخرى ويعتمد عليها (الاعتماد المتبادل بين أجزاء النسق الاجتماعي).⁽¹⁾

إن فكرة الوظيفية عن النسق الاجتماعي تنهض على أساس ما يعرف بالنموذج العضوي أو المماثلة العضوية ، فالمجتمع يمثل الكائن العضوي ومن ثم فهو مكون من أعضاء أو عناصر وانساق فرعية متفاعلة ومتداخلة ومعتمدة بعضها على البعض في تناغم وتوازن وانسجام وأداء وظيفي متبادل.

وهذا ما يظهر في تحليلات "تالكوت بارسونز" وذلك بالنظر إلى المجتمع على انه بناء اجتماعي يتكون من الأنساق الفرعية المتبادلة وظيفيا مثل النسق الاقتصادي والسياسي والديني وغيرها، كما حاول بارسونز وغيره من رواد البنائية الوظيفية من أمثال "ربرت ميرتون" أن يعرضوا لأهم العوامل والمتطلبات الوظيفية التي تسهم في عملية استقرار النسق الاجتماعي والمجتمع واستمرار توازنه ، وهذا ما جعل فكرة النسق ترتبط بمقولات أخرى مثل التوازن ، والتكامل ، والتكيف .

كما جاءت فكرة النسق الاجتماعي في تحليلات البنائية الوظيفية التقليدية عند "دوركهايم" ، "سبنسر" ، "باريتو" ، و"فيبر" وخاصة عندما ركزوا على دراسة علاقة النظم الاجتماعية بعضها البعض ، وهذا ما جاء في تحليلات "دوركهايم" للنسق القانوني وعلاقته بالنسق السياسي أو الديني أو الاقتصادي وهذا ما ظهر في نظرية التضامن الاجتماعي⁽¹⁾.

(1) نفس المرجع : ص 93.

(1) عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2005 ، ص 14

كما سعى كل من "بارسونز" و"ميرتون" وغيرهم الاستعانة بتحليلات الوظيفية التقليدية ، خاصة عندما حاولوا التركيز على دراسة فكرة المجتمع أو النسق الاجتماعي المعياري وحاجة الأفراد في المجتمعات الحديثة إلى جود يتسم بتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي.

وقد حرص رواد النظرية البنائية الوظيفية التقليدية والمعاصرة على تحليل فكرة البناء الاجتماعي وتطوره تاريخيا ، وذلك بدراسته وتحليله من المنظور تاريخي مقارنة ، كما حاولوا الاستعانة بالكثير من تحليلات الأنثروبولوجيين من أمثال "مالينوفسكي" و "راد كلايف براون" وغيرهم ممن استخدموا فكرة البناء والأنساق الاجتماعية خاصة عند اهتمامهم بطبيعة العلاقات المتبادلة بين الأنساق والنظم الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة والدولة والاقتصاد وغيرها من مكونات البناء الاجتماعي ، والتي تقوم كل منها بتحقيق وظائف وإشباع حاجات معينة ، وفي ضوء ذلك ركز بارسونز على ضرورة وضع ما يعرف بالمتطلبات الوظيفية ، والتي تتمثل في العناصر الأربعة وهي : التكيف ، تحقيق الهدف ، التكامل ، والمحافظة على بقاء النمو والتأكيد على علاقة الأنساق الفرعية بالنسق الأكبر (المجتمع) ونوجزها بالشرح كما يلي (1) :

التكيف: يتطلب النسق التكيف مع البيئة التي تحيط به وان يقوم أيضا بتأمين مجموعة من الوسائل المادية والمعنوية الضرورية لحياة أعضاء النسق.

تحقيق الهدف: وذلك بتحديد الأولويات أو الضرورات اللازمة لتحقيق أهداف المجتمع أو النسق وذلك عن طريق التنسيق بين مجموعة المدخلات والموارد اللازمة والعمل على استخدامها بصورة مثلى لتحقيق حاجات وأهداف النسق.

التكامل: أن مكونات النسق سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو نظم فرعية لا بد أن يتكاملوا من أجل تحقيق الأهداف العامة وإنجاز الوظائف ، وذلك باعتبارهم أجزاء من البناء الاجتماعي.

(1) خالد حامد :مرجع سابق ،ص 100.

المحافظة على النمط وإدارة التوتر : أكد بارسونز على أهمية المحافظة على النمط وذلك عن طريق طرح عدد من الخصائص و السمات العامة التي تتمثل في المهارات اللازمة والتخصص والحوافز المادية والمعنوية والسمات الشخصية للقيادات والأعضاء ،مع ضرورة الالتزام أيضا بمنظومة القيم الاجتماعية التي تسهم في خفض معدلات التوتر أو التصدع التي تنشأ خلال عمليات التفاعل الاجتماعي .

وقد اهتم رواد البنائية الوظيفية المعاصرة بمشكلات الصراع كحقيقة تجاهلتها البنائية التقليدية ،و شكلت نقطة ضعفها لأنها اعتبرت التكامل والتوازن هما الميزة الوظيفية للبناء الاجتماعي .

3- مفهوم الوظيفة:

يذهب الوظيفيون إلى أن الطريقة التي يعمل بها المجتمع ويستمر بقائه يمكن فهمها من خلال وظيفة النسق الاجتماعي ، أي أن جميع أجزاء النسق الاجتماعي وعناصره هي إما وظيفية أو لا وظيفية ، لكن الغالبية العظمى من هذه العناصر هي عناصر وظيفية ، بوصفها تلعب أدوارا ايجابية من اجل صيانة النسق والمحافظة على توازنه ، أما الأدوار اللاوظيفية فهي إما أن تتمثل في ادوار غير نافعة أو غير مفيدة أو تتمثل في نتائج سلبية وضارة ، مثلا : القلب الإنساني يؤدي وظيفة ايجابية بالنسبة للجسد ولكافة الأعضاء الأخرى المكونة له ، لكن قصورا في القلب هو مسألة وظيفية ، فالقلب المريض لا يهتم في بقاء الكائن بل هو قد يهدد وظائف الأعضاء الأخرى وقد يهدد حياة الكائن ذاتها.

ويحاول الاتجاه الوظيفي أن يطبق هذا الفهم على المجتمع أو على النسق الاجتماعي ، فالمهتمون بالمشكلات الاجتماعية من أصحاب الرؤية الوظيفية يفهمون الجريمة بوصفها خلا وظيفيا في المجتمع خطيرة ومدمرة في اقل تقدير وقد تحطم النسق كله في أقصى حالاتها حدة وانتشارا ، وفي الوقت ذاتها فإن لها وظائف ايجابية تؤذيها ، فقد فهم "دوركهايم" الجريمة بوصفها تؤدي وظائف ايجابية تتمثل في تدعيم وتقوية النظام الأخلاقي أو الضمير الجمعي حين تضطربنا الجريمة في حالة

وقوعها إلى إدراك أهمية القوانين والقواعد التي تم انتهاكها وتضطرنا في أحيان أخرى إلى توضيح وتحديد وتفصيل القوانين الأخلاقية والنظام المعياري⁽¹⁾.

ويميز الموظفون بين الوظائف الكامنة والوظائف الظاهرة، فالممارسات والاستخدامات الاجتماعية قد لا تكون دائما واضحة الأهداف محددة المقاصد، أما الوظائف الظاهرة فهي الأنشطة والممارسات التي تلعب أدوارا معروفة تستهدف أهدافا واضحة وتخدم أغراضا اجتماعية جليلة، في حين يشر مفهوم الوظيفة الكامنة أو الخفية إلى الأهداف التي قد تكون لا شعورية أو غير معروفة أو غير واضحة وغير مقصودة بالنسبة لأولئك الذين يمارسون نشاطا معينا.

4-2 التصور الوظيفي للمجتمع :

إن الطريقة التي تجري بمقتضاها الحياة الاجتماعية في التصور الوظيفي تتمثل في أن جميع عناصر الحياة الاجتماعية المختلفة، هي في تفاعل مستمر مع بيئاتها الخاصة، وبطريقة قد تكون ظاهرة مقصودة أو غير مقصودة، وهي تستجيب للمثيرات البيئية، ولكي تدعم الرفاهية العامة للنسق الاجتماعي ككل والأشياء التي يبدوا أنها لا تؤدي خدمة مهمة أو تحقق غرضا نافعا بالنسبة للنسق الاجتماعي تتجه إلى الانقراض والاختفاء لكي تحل محلها عناصر أكثر إفادة ووظيفية، أما العناصر التي تؤدي وظائف سلبية قد تهدر النسق الاجتماعي فإنها تكبح وتقمع بشكل فعال من انساق الضبط الاجتماعي وتغيير النسق من أجل إعادة التوازن من جديد والقضاء على العناصر اللاوظيفية.

يفهم الاتجاه الوظيفي إذن الطبيعة الإنسانية بوصفها قابلة للتشكل بالضروريات الاجتماعية، وأنها صنعة اجتماعية خالصة، ويفهم المجتمع بوصفه مماثلا للكائن الحي، أنه نسق من الفعل والتفاعل يتسم بالتوازن والتجديد والاعتماد المتبادل⁽¹⁾.

(1) محمود عودة، مرجع سابق، ص94.

(1) محمود عودة، مرجع سابق، ص95.

المحاضرة رقم (6)

2-5 إسهامات بعض رواد البنائية الوظيفية :

بارسونز ودراسة الأنساق الكبرى :

تضمنت تحليلات بارسونز عدة مفاهيم البناء ،النسق الاجتماعي ،الوظيفية التحليلات الوظيفية والخلل الوظيفي.

النسق الاجتماعي :عرف بارسونز النسق الاجتماعي على انه مجموعة من الفاعلين (الأفراد) الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض ،كما يعرفه بأنه شبكة من العلاقات القائمة بين الفاعلين ،وبذلك يركز على أهمية الفاعلين كأساس للنسق الاجتماعي ،كما أن العلاقات الاجتماعية هي التي تحدد بصفة أساسية طبيعة النسق سواء كان بسيطاً أو مركباً ، ويحتل كل فرد مركزاً أو مكانة اجتماعية مميزة ويؤدي دوراً معيناً .

فالدور هو سلوك الفاعل مع الآخرين ، وقد ركز بارسونز على الأنساق الاجتماعية والثقافية ، حيث اهتم بالدور الوظيفي للنسق الثقافي الذي يشمل الأنماط الثقافية الآتية:

- انساق الأفكار والمعتقدات وتتميز بالطابع الإدراكي أو المعرفي .
- انساق الأفكار والرموز التعبيرية وتتميز بالطابع العاطفي .
- انساق التوجهات القيمية أو الأنماط التكاملية⁽¹⁾.

و يكون النسق الاجتماعي بصفة عامة من عدة انساق فرعية:كالنسق الاقتصادي و السياسي، والمجتمع المحلي وأنماط المحافظة على النمط.

- "ايمتاي الزيوني"(Elizioni) و انساق الضبط الاجتماعي:

لقد أكد على أهمية تبني بعض التحليلات التنظيمية أو ما يعرف بالمدخل التنظيمي لدراسة المشكلات والقضايا المجتمعية باعتبار الأنساق الاجتماعية (من

(1) عبد الله محمد عبد الرحمان :النظرية في علم الاجتماع ، مرجع سابق ،ص27.

بناءات أو مؤسسات أو تنظيمات لها أهداف معينة تسعى إلى تحقيقها في ضوء مجموعة من المدخلات والمخرجات التنظيمية.

الضبط والتوجه الاجتماعي: حاول وضع إطار جديد للنظرية يعتمد على ما يعرف بعلم الاجتماع الوحدات الكبرى الذي يركز على دراسة الخصائص العامة والشاملة لهذه الوحدات ومعرفة العوامل التي تسهم في تحقيق أهدافها الاجتماعية عن طريق الاعتماد على انساق الضبط والتوجه الاجتماعي وهذا ما جاء في كتابه (المجتمع الفعال) الذي يقوم على:

الضبط: ويتمثل في عدد من القدرات النسقية على التنظيم الذاتي والمراقبة واتخاذ القرار والسيطرة باعتبارها مصدرا للقوة والتعبئة.

القدرة على تكوين وتوافق الآراء والاجتماع: وهذا ما يسهم في تكوين نمط المجتمعات، والمجتمع الفعال هو الذي يتميز بارتفاع معدل الإجماع والضبط⁽¹⁾.

"ربرت ميرتون" والبدائل الوظيفية:

ظهرت تحليلات "ميرتون" منذ الأربعينيات وقد ارتبطت تحليلاته بدراساته الإمبريقية، نظرا لأنه شغل منصب مكتب البحث الاجتماعي التطبيقي في جامعة كولومبيا ورئيسا للجمعية السوسيولوجية الأمريكية ومن إسهاماته نذكر:

النظرية السوسيولوجية متوسطة المدى: حيث فند طبعة النظريات الكبرى أو النظرية السوسيولوجية المركزة أو ما يعرف بالنظريات ذات المستوى التحليلي الصغرى لأن هذه النظرية لا تستند كثيرا إلى الواقع الإمبريقي أو إلى اهتمامها بالإطار النظري الذي يجب أن تقوم عليه النظرية السوسيولوجية العلمية.

(1) عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 69.

ومن هنا عرف النظرية متوسطة المدى بأنها ذلك النوع من النظريات التي تأخذ موقفا وسطا من النظريات الصغرى والكبرى ويشتمل هذا النموذج على مفهوميين أساسيين:

الأول: يفترض أن المجتمع يتشكل من بناء اجتماعي ويتحدد هذا البناء على أن أنماطا ثابتة نسبيا من السلوك الاجتماعي، وأن هناك أبنية اجتماعية أكثر أهمية مثل الأسرة والدين والسياسة والنسق الاقتصادي.

الثاني: أن لكل عنصر من عناصر البناء وظيفة اجتماعية أو أكثر هامة وضرورية لبناء المجتمع، ويعتبر التوازن من خصائصها الجوهرية، حيث أن العلاقات المتبادلة بين العناصر المكونة للنسق ثابتة نسبيا (1).

وقد ميز ربرت ميرتون بين نوعين من الوظائف:

الوظائف الظاهرة: وهي الوظائف أو الآثار المقصودة والمعترف بها اجتماعيا وهي الوظائف التي يمكن ملاحظتها وتسجيلها بصورة سهلة وسريعة، والتي تعكس عموما أهداف محددة للحفاظ على النسق أو الأعضاء الذين يشاركون فيه.

وظائف كامنة: وهي آثار غير مقصودة وغير معترف بها إلى حد كبير فالوظيفة الظاهرة للسيارة هي نقل الناس والسلع وهذا بالتأكيد ما يفكر فيه الناس عند شراء السيارة، إلا أن لها وظيفة كامنة، فهي تمكن الشخص من العزلة والاستقلالية كما تعبر عن رموز المكانة، أي أنه لا يمكن أن تظهر بصورة ظاهرة بل مستترة وغير مقصودة أو متوقعة، والنظام السياسي له وظائف ظاهرة تعمل على الحفاظ على الحقوق والواجبات السياسية للفرد أو لأعضاء التنظيم الاجتماعي (2)، كما قد ترتبط به عددا من الوظائف الكامنة

(1) نفس المرجع، ص 49.

(2) علي عبد الرزاق الجبلي: أسس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دون سنة نشر، ص 153.

والتي يمكن ملاحظتها عن طريق جماعات المصالحة او انتشار الثقافة السياسية.

وقد أشار "ميرتون" إلى ظهور ما يسمى بالمعوقات الوظيفية أو نتائج غير مرغوب فيها بالنسبة للسيارة ،قد يؤدي الانتشار الواسع لها إلى ظهور مشكلة التلوث البيئي .

6-2 تقييم النظرية البنائية الوظيفية:

لقد حاولت البنائية الوظيفية وضع نظرية سوسيولوجية عامة تمكن من دراسة وتفسير القضايا والمشكلات الاجتماعية ،معتمدة على المداخل التحليلية والبحثية ورغم القيمة والمكانة العلمية، التي اصطبغت بها على صعيد النظرية السوسيولوجية وعلم الاجتماع عامة إلا أنها تعرضت لانتقادات شديدة نذكر منها:

- لم تهتم بالتغير الاجتماعي لأنها كانت تركز على تكامل البناء الاجتماعي الذي نظرت إليه على انه ثابت كالعمود الفقري حتى عندما ذكرت التوازن الدينامي أو المتحرك لم توضحه وجاءت متسقة مع الإطار العام للنظرية و المصادر التي اشتقت منها كعلم الحياة مع محاولتها مناهضة التاريخ وتحليله وتعرضت للانتقادات لهذا اعترفت بتغير تدريجي يرتبط بالتغيرات الخارجية أكثر من ارتباطها بالتغيرات الداخلية⁽¹⁾.

- الصعوبة والتعقيد :إذ يرى نقادها من أمثال تيماشيف ،جون روكس ، رايت ميلز ، وغيرهم أن كتاباتها تتسم بالتعقيد وصعوبة الفهم.

- التركيز على الطابع الإستاتيكي وإهمال الصراع ، وذلك باعتمادها مسلمات التوازن والتكامل وإدارة التوتر.

- صعوبة التوصل إلى نظرية عامة موحدة : يرى نقادها أن رواد البنائية الوظيفية أخفقوا في وضع نظرية سوسيولوجية متكاملة وموحدة ،على الرغم

(1) عبد الباسط عبد المعطي : اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص125.

من محاولة "بارسونز" وضع نظرية كبرى من خلال نظريته عن الأنساق الاجتماعية ومحاولة "ميرتون" في نظريته متوسطة المدى.

- أنها تعبر عن نزعة غائبة تنزع نحو التفسير الغائي : من خلال وضع فروض غير قابلة للاختبار تعوق تطبيق المنهج المقارن، حيث لا يمكن معها عقد مقارنات بين النظم المختلفة لأنها لا تفسر إلا في ضوء البناءات الاجتماعية⁽¹⁾.

- التحيز الأيديولوجي: أنها نظرية لتبرير المجتمع الرأسمالي ، وذلك لتجاهلها الكثير من مشكلات المجتمعات الحديثة كالتمييز الطبقي والعنصري والتطرف والفقر.

المحاضرة رقم (7)

3- النظرية الماركسية المحدثه:

ظهرت الماركسية كمذهب وتيار فكري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا ، وسميت كذلك نسبة إلى مؤسسها "كارل ماركس" حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك وكانت نظريته مادية بحثة بعيدة عن المثالية ، حيث كان يطمح إلى إقامة مجتمع شيوعي ، إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب ومع اضمحلال الرأسمالية وحلول محلها الشيوعية فأتى بعض تلاميذه المعجبين بنظريته واتبعوا خطاه ودرسوا الواقع المعاش بتطبيق الماركسية الكلاسيكية عليه فوجدوها تحتوي على بعض النقائص، مما اضطرهم إلى تحديث النظرية التقليدية ، واكتشاف طبقة وسطى في المجتمع ، وإضافة بعض المفاهيم التي كانت غائبة عن ماركس مع حفاظهم على الأساس ولب النظرية الكلاسيكية ، وهنا أتت الماركسية المحدثه لتخلص الماركسية الكلاسيكية من بعض النقائص والتجديد في بعض الأمور والمصطلحات.

(1) قباري محمد إسماعيل: قضايا علم الاجتماع المعاصر، دراسة تحليلية نقدية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1976 ص 361.

و لقد تم تطوير النظرية الماركسية أو ما يعرف بنظرية الصراع ، ذلك لان مسلمات ومفاهيم هذه النظرية لم تعد قادرة على استيعاب وتفسير واقع المجتمعات الحديثة ، وذلك لاعتمادها الحتمية الاقتصادية واعتبارها أن الصراع الطبقي هو العامل الأساسي للتطور الاجتماعي والمحدد لطبيعة وبناء المجتمع أي أنها تجعل من ظاهرة الصراع محور العلاقات الإنسانية وتعتبره آلية التي تخضع لها كافة الظواهر الاجتماعية لأنها تتحكم في عملية التطور الاجتماعي (1) .

1-3 عوامل ظهور الماركسية المحدثه:

- تحديث أفكار الماركسية الكلاسيكية التصويرية التي اتخذت من الصراع مدخلا وظيفيا للعديد من الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية المتغيرة.
- ظهور مجموعة من العلماء الشبان الغربيين الذين انبهروا بنظرية الصراع لكنهم اعتبروها أداة للتغيير والتحديث .
- أراد أنصار الماركسية أن يقوم علم الاجتماع ويطور ذاته عن طريق دراسته لعناصر الصراع والتغير.
- ركزوا على التوفيق بين الماركسية التقليدية التي تركز على الصراع والوظيفية البنائية التي تركز على التوازن النسقي.
- حرص أنصار الماركسية على تطبيق نظرية الصراع وتصنيفها إلى اتجاهين وهما:
- * اتجاه ينظر إلى المجتمع على انه نسق معياري ويركز على العوامل الاجتماعية .
- * اتجاه طبيعي يسعى لتفسير الصراع بالاهتمام بالأسباب الاجتماعية والثقافية الكاملة التي بسببها يظهر الصراع (1) .

(1) محمد حسين غلوم: النظرية الاجتماعية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1999، ص221.

(1) عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع المعاصر ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر ، 2003 ص23.

- انقلاب الطبقة الكادحة على الطبقة البرجوازية أو الحاكمة .

- ظهور تغيرات وتحولات في المجتمع.

2-3 مفهوم الماركسية المحدث أو نظرية الصراع الاجتماعي:

تستند فكرة الصراع الاجتماعي على فكرة محورية مؤداها أن الصراع هو عنصر أساسي في كافة التنظيمات الاجتماعية ، وعلى طول تاريخ علم الاجتماع كان هناك من العلماء من يدافعون عن هذه النظرية لعل من أبرزهم في الولايات المتحدة كرايت ميلز في خمسينات هذا القرن ، أما أبرز الممثلين المعاصرين لهذه النظرية فهما رالف داهرندروف و لويز كوزر ، وقد أدت نشاطاتها العملية والفكرية إلى إعادة توجيه اهتمام العلماء الاجتماعيين إلى طبيعة ووظائف الصراع في الحياة الاجتماعية المعاصرة ، ككن من المدهش أن هاذين العالمان قد ركزا على الوظائف التكاملية للصراع (أي الصراع بوصفه يؤدي إلى التكامل الاجتماعي وليس إلى التفكك والتحول) فقد أثار تساؤلات حول الكيفية التي يؤدي بها الصراع إلى التضامن الاجتماعي ، لكنهما لم يفترضا بالطبع أن التضامن الاجتماعي هو أساس الحياة الاجتماعية (2) .

3-3 المسلمات الأساسية التي تستند عليها نظرية الصراع الاجتماعي :

الجدير بالذكر أن المسلمات الأساسية التي تستند عليها نظرية الصراع الاجتماعي في الطبيعة الإنسانية وطبيعة المجتمع وعملياته يمكن التعرف عليها من خلال استعراض تصورها للقوة والسلطة ودور الروابط والتنظيمات ودور الصراع في الحياة الاجتماعية وهي : (1)

1- القوة والسلطة:

يعد مفهوم "القوة" من المفاهيم الأساسية في نظرية الصراع الاجتماعي ، والقوة تعني إمكانية قيام فاعل معين بتنفيذ أروته بغض النظر عن عناصر المقاومة

(2) محمود عودة: أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص108.

(1) نفس المرجع، ص112.

والمعارضة، كما أن مفهوم السلطة هو أيضا مفهوم محوري بالنسبة لهذه النظرية، ويعني هذا المفهوم إمكانية أن تجد إرادة القادة والحكام أذانا مطيعة صاغية، فالسلطة إذن هي القوة الشرعية وهي مرتبطة دائما بالأدوار الاجتماعية، والقوة الشرعية من المفترض أن تكون سمة ضرورية وعامة للحياة الاجتماعية، وانطلاقا من ضرورة السلطة والقوة في الحياة الاجتماعية، تفترض نظرية الصراع بمعنى ما أن الناس إما أن يكونوا في مراكز مهيمنة ومتحكمة أو أن يكونوا خاضعين وتابعين للآخرين وهذا مصدر أساسي من مصادر الصراع الاجتماعي (الصراع السياسي بوصفه عاملا حاسما في التغير الاجتماعي على نحو ما يذهب "رالف داهرندروف"، وليس الصراع الطبقي بالمعنى الذي ذهب إليه ماركس).

2- دور التنظيمات والروابط :

يذهب "داهرندروف" إلى أن الصراع والسلطة يشكلان عناصر أساسية في كافة التنظيمات والروابط، ذلك لأن الصراع بين الأفراد غير هام بالنسبة للمنظور الاجتماعي، أم التنظيم أو الرابطة هو الذي يعني أي تنظيم اجتماعي يتواجد فيه أي شكل من أشكال السلطة فإنه يتكون من مجموعتين، أولئك الذين يملكون السلطة وأولئك الذين لا يملكونها، وحينما تعي كل مجموعة من هاتين المجموعتين مصلحتها الخاصة فإنها تتحول إلى جماعات مصلحة أو طبقات، وتزداد بالتالي احتمالات الصراع الاجتماعي في الحياة الاجتماعية بين هذه الجماعات المتعارضة المصالح، ويتجه الصراع إلى أن يفرز حركة موجهة للتغيير الاجتماعي المنظم أو التوازن في النسق الاجتماعي، وسوف يحدث التوازن الاجتماعي نتيجة لذلك وسوف يتحقق الاستقرار عبر الزمن، ومن ثم فإن التغير يحدث نتيجة لتغير السلطة ونظمها.

3- دور الصراع في المجتمع:

إن الصراع هو الميكانيزم الرئيسي الذي ينشط به المجتمع، ويعني أصحاب هذه النظرية بالصراع الاجتماعي مجالات واسعة ومتعددة من الحياة الاجتماعية هي دائما موضوع تنازع ونزال، القيم والمصادر الاقتصادية والمكانة الاجتماعية

والسلطة والقوة ، ويتجه الصراع إلى تحديد المنافسين أو إيداعهم أو حتى القضاء عليهم ، انه عملية اجتماعية شخصية ، واعية تحدث بين جماعات اجتماعية منظمة ولقد وصف كوزر بعض نتائج الصراع الاجتماعي في شكل افتراضات مجردة على النحو التالي :

- كلما كانت أهداف الأطراف المتنازعة غير محدودة طالبت عملية الصراع الاجتماعي .

- إذا اعتقد الناس أن انجازهم الكلي لأهدافهم سوف يكلفهم ما يفوق الانتصار الذي يتطلعون إليه فان الصراع لن يستمر طويلا .

- كلما كان الصراع حادا وعنيفا ومكثفا كانت الجماعات المتصارعة بالغة التحديد والوضوح ، وزادت الحاجة إلى التمييز الدقيق بين معسكر كل جماعة أو كل طرف ومعسكر أعدائه .

- كلما تزايدت حدة الصراع تزايد تضامن كل طرف اجتماعي من الأطراف المتصارعة حيث يشعر كل طرف اجتماعي أنهم في سفينة واحدة وان من ليس معهم هو ضدهم ولن مصيرهم واحد مشترك .⁽¹⁾

4-3 التصور الماركسي للمجتمع:

إن طبعة المجتمع بالنسبة لأصحاب نظرية الصراع الاجتماعي يتمثل في انه نظام ينهض على أساس شكل من أشكال توازن القوى بين الجماعات والتنظيمات المتعارضة والمتصارعة ، وانه لما كانت الطبيعة الإنسانية سلبية إلى حد كبير ، فان أغلبية الناس في المجتمع تابعون ومحكومون بواسطة القلة لكنه بحكم ندرة المصادر والامتيازات وقلتها (السلطة والثروة والقوة وغير ذلك) تتطور خاصية التنافس والصراع في الطبيعة الإنسانية ، والصراع الاجتماعي هو الميكانيزم الأساسي في النسق الاجتماعي ، الصراع بين الجماعات والتنظيمات الاجتماعية المنظمة والمترابطة ، أما التغير الاجتماعي فان يحدث لأنه يستحيل أن تحتكر

(1) نفس المرجع ، ص 110.

مجموعة محدودة مراكز السلطة والثروة إلى الأبد وان تحرم منها الآخرين والصراع بهذا المعنى هو محرك السياق الاجتماعي .

والجدير بالذكر أن نظرية الصراع الاجتماعي هذه تختلف عن التصور الماركسي لعملية الصراع بوصفها صراعا طبقياً أساساً وباعتبار الصراع الطبقي هو محرك التاريخ في المجتمع الطبقي ، إذ توسع هذه النظرية من مجال الصراع الاجتماعي الذي تراه ممكناً في مجالات متعددة ، الصراع العنصري أو الجنسي والصراع الديني ، والصراع السياسي والصراع بين الأجيال والصراع بين الذكور والإناث والصراع بين التجار العملاء ، أو بين المنتجين والمستهلكين ، وبين المدينة والريف وغير ذلك من أشكال الصراع الاجتماعي المتعددة.

المحاضرة رقم (08)

3-5 إسهامات بعض رواد النظرية الماركسية المحدثه:

"داهرندورف" (R.dahrendorf) الصراع والتنظيمات الاجتماعية :

يذهب "داهرندورف" إلى أن ضعف قوة رأس المال وقوة العمل في المجتمعات الحديثة بظهور فئات اجتماعية وظهور طبقة متوسطة تستند على مصادر قوة جديدة تضاهي أو تفوق المجال الاقتصادي (الإعلام والاتصال، المعلومات، الخدمات).

وان الصراع والسلطة يشكلان عنصرين أساسيين في كافة التنظيمات الاجتماعية ، ففي أي تنظيم يتواجد شكل من أشكال السلطة وذلك لان هذا التنظيم يتكون من فئتين أولئك الذين يمتلكون السلطة وأولئك الذين لا يملكونها وحينما تعي كل مجموعة من هاتين المجموعتين مصلحتها الخاصة فإنها تتحول إلى جماعات مصلحة أو طبقات وتزداد بالتالي احتمالات الصراع الاجتماعي بين هذه الجماعات المتعارضة المصالح⁽¹⁾.

(1) محمود عودة: أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 107.

وقد ناقش "كولنز: (R.Collins) طبعة العلاقة بين الصراع وعمليات توزيع المصالح والموارد ، واهتم بدراسة التنظيمات باعتبارها مجالا خصباً للصراعات والمجال التي تسيطر فيه الطبقة العليا أو الصفوة على الطبقات التابعة ، وأعطى أهمية خاصة إلى نسق الجزاءات والتي تفسر عموماً طبيعة وسيلة القهر في المؤسسات وتتمثل في المكافآت المادية، الضبط المعياري (المثل التنظيمية) التي تجعل الأفراد يمثلون .

وعلى مستوى الدولة يتم تنظيم العنف ومعرفة الجماعات المسيطرة ومصالحها ومدى تأثيرها على السياسة العامة ، لذلك عرف الدولة بأنها نوع من التنظيمات والتي عن طريقها يصبح العنف منظماً ، ويتم السيطرة من خلال نسق المعتقدات والملكية وشبكات الاتصال والتكنولوجيا العسكرية⁽²⁾.

القوة والسلطة يعد مفهوم "القوة" من المفاهيم الأساسية في نظرية الصراع الاجتماعي ، وتعني القوة إمكانية قيام فاعل بتنفيذ إرادته على طرف آخر ، بغض النظر عن عناصر المقاومة والمعارضة.

كما أن مفهوم السلطة من المفاهيم المحورية بالنسبة لهذه النظرية ويعني هذا المفهوم إمكانية الخضوع والامتثال لإرادة القادة والحكام ، فالسلطة إذن هي القوة الشرعية والتي ترتبط دائماً بالأدوار الاجتماعية ..

ويفترض لممارسة السلطة أو القوة وجود طرفين مختلفين : طرف يوجد في مركز السيطرة والتحكم ، وطرف أو أطراف خاضعين وتابعين تمارس عليهم القوة أو السلطة ، وهذا ما يشكل مصدراً أساسياً من مصادر الصراع بما في ذلك الصراع السياسي، كما يذهب إلى ذلك "دهراندروف" بوصفه عاملاً حاسماً في التغيير الاجتماعي وليس الصراع الطبقي بالمعنى الذي ذهب إليه "ماركس".

(2) عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 117.

"فرانك باركن" : القيم والصراع في المجتمعات الحديثة:

لقد جاءت "فرانك" حول القيم والصراع في احد مؤلفاته الهامة عن اللامساواة والطبقية والنظام السياسي، والتدرج الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية وذلك في محاولة منه للعودة إلى أفكار وتصورات ماركس الأصلية، حيث يحاول تحليل المصادر الاجتماعية التي تؤدي إلى حدوث الاستقرار في المجتمعات الحديثة وذلك بطرح السؤال هام مؤداه لماذا تتمرد الجماعات المحرومة على غيرها من الجماعات التي تتمتع بالامتيازات؟ وللإجابة على ذلك سعى باركن لتوضيح السبب والذي يرجع إلى أن الجماعات المحرومة لا يتم السيطرة عليها بواسطة القوة الفيزيائية وهذا ما جعل "باركن" يسعى إلى تحليل النظام في المجتمعات الحديثة انطلاقاً من فكرة وجود العديد من الاختلافات في القيم وفي الوعي بين الطبقات في المجتمع وقد ميز بين ثلاثة أساليب أو انساق للمعنى التي عن طريقها يتم تنظيم القيم وهي (1):

- أن الجماعات في المجتمع لديها أيضاً قيم مهيمنة والتي عن طريقها تأسس الإطار الأخلاقي والأفكار والمسلّمات العامة في المجتمع.
- أن نسق القيم الخاضعة في المجتمع غالباً ما ينتج عنه الجماعات خاضعة وتزود أصحابها بأساليب الامتثال والتكيف وغيرها من الحقائق غير المرغوب فيها حول اللامساواة والمكافآت المتوقعة بغض النظر عن تقبلها.
- النسق القيمي الراديكالي يطرح الإطار الأخلاقي البديل في المجتمع ويقدم إطاراً أو إشارة ضمنية لإعادة تنظيم المجتمع.

"دافيد لوكوود" النسق والطبقية في المجتمع الحديث:

جاءت إسهامات "لوكوود" حول النسق والطبقية في المجتمع الحديث من خلال تقديمه لرؤى ماركسية محدثة لطبيعة العناصر البنائية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ترتبط بالطبقة من ناحية والنسق الاجتماعي من ناحية أخرى .

(1) نفس المرجع :ص24.

ولقد سعى "دافيد لوكوود" إلى إعطاء إجابات للتساؤلات حول الطبقة الرأسمالية التي تمتلك وسائل الإنتاج، والعمال الذين لا يعتبرون أنهم ليسوا من الطبقة الرأسمالية ويطرح التساؤلات التالية: هل هذا يعتبر نوعا من الشعور أو الوعي الطبقي الزائف وهل لدى هذه الفئة الإدراك لطبقتهم الحقيقية ؟

وقد اعتمد في تحليل إجاباته على موقفين أساسيين هما: (1)

أولا: موقف السوق: رأى "لوكوود" أن فئة الموظفين لا تمتلك وسائل الإنتاج لأنهم فقط يقومون ببيع قيمة أعمالهم في السوق المفتوح.

ثانيا: موقف العمل: لقد توصل "لوكوود" إلى وجود تمايز واضح بين الموظفين والعمال العاديين، ولا سيما أن الفئة الأولى تتمتع بمميزات أعلى، مثل عملهم في ظروف عمل أفضل ومعدلات أعلى من المعاشات، العمل يعكس مدى وجود الفوارق الكبيرة في الأجور بين أفراد هذه الفئة وإلى إمكاناتهم المهنية والوظيفية التي يحصل عليها البعض دون الآخر.

"لويس كوزر" ووظائف الصراع الاجتماعي:

خصص "لويس كوزر" في مؤلفه الشهير بعنوان (وظائف الصراع الاجتماعي) على أن الصراعات الداخلية المرتبطة بالأهداف أو القيم أو المصالح والتي لا تتعارض مع الافتراضات الرئيسية التي تركز عليها العلاقات الجماعية تكون عادة ذات وظائف ايجابية بالنسبة لبناء الجماعة، فهذه الصراعات تجعل من الممكن تحقيق إعادة التوافق والتكيف للمعايير والقوى الاجتماعية داخل الجماعة في ضوء الحاجات التي يستشعرها أعضاء هذه الجماعة أو الجماعات الفرعية، وفي الوقت ذاته حينما يقل الارتباط بين أعضاء الجماعة حول القيم الأساسية التي تستند إليها شرعية النسق الاجتماعي، فإن ذلك يشكل أحد مصادر تهديد بناء الجماعة، ومع ذلك كله فسواء كانت الصراعات الداخلية عاملا من عوامل التوازن في العلاقات الاجتماعية أو استعادة التوافق بين المطالب المتنافسة، أو كانت تشكل تهديدا للبناء

(1) نفس المرجع، ص 25.

الجماعي، فإن ذلك كله يعتمد على طبيعة هذا البناء، الذي تظهر بداخله الصراعات وتختلف الجماعات من استجابتها للصراعات الداخلية، فالجماعات العالية التماسك تميل إلى إخفاء مظاهر الصراع والتغلب عليها وهي في الوقت ذاته تسمح بظهور فرص عديدة للعداء (1).

"جون روكس" نحو نظرية اجتماعية للصراع:

تعتبر دراسة "جون روكس" التي أصدرها تحت عنوان (الصراع الاجتماعي) من أحدث الصياغات لهذه النظرية، وي طرح "روكس" في كتابه عرضاً منظماً لنظرية الصراع، فيبدأ من تحليل الصراعات البسيطة ذات الجانبين ثم صراعات السوق والتبادل ثم الصراعات الجماعية والأنماط المعارضة داخل النسق الاجتماعي وأخيراً يناقش مستويات الصراع القومية والعرقية والطبقية، ويخلص من ذلك كله إلى تقديم نموذج لتحليل الصراع يصلح كمدخل من مداخل الدراسة في علم الاجتماع ويهدف "جون روكس" من كتابه هذا إلى تعديل وجهات النظر الحتمية التي تعالج قضية الصراع بوصفها محورية في النظرية السوسيولوجية.

ولقد أوضح "جون روكس" أن العلاقات تعكسها علاقات التبادل فمن الملاحظ أن نظرية التبادل تحاول أن تقيم النظرية السوسيولوجية على أساس اقتصادي، فقد بدأت بمسئمة وجود الأهداف متصارعة بين الأفراد وخلصت إلى إمكانية التعاون بينهم بحيث يحقق التعاون منافع متبادلة (1).

3-6 تقييم النظرية الماركسية المحدثّة:

الإيجابيات :

تعد النظرية الماركسية المحدثّة نقطة انطلاق للعديد من النظريات السوسيولوجية المعاصرة، وهذا ما ظهر في النظرية البنوية أو النظريات ما بعد البنوية والتي كانت محور اهتمام المنظرين الاجتماعيين أمثال النظرية النقدية، كما

(1) محمد علي محمد: تاريخ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1983، ص 529.

(1) نفس المرجع: ص 534.

فتحت المجال أمام العديد من روادها لتحديث الإطار المرجعي الذي يجب أن تقوم عليه النظرية السوسيولوجية العامة مثل تحليلات "داهرنديروف" في دراسته لقضايا اجتماعية معاصرة⁽²⁾.

إن تحليل ماركس في ميدان علم الاجتماع قد وجهه الانتباه نحو أهمية البعد الاقتصادي في الحياة الاجتماعية ، ودوره في تغيير المجتمعات ، ولأن النتيجة التي ترتبت على ذلك الحوار الذي عقده علماء الاجتماع في ذاته ، ومن ثم فإن التركيز يجب أن ينصب على إسهام "ماركس" في تطوير ميدان الدراسة السوسيولوجية وفي تحليل البناء الاقتصادي في علاقته بأجزاء البناء الأخرى ، وعلى نظريته في الطبقات الاجتماعية وتصوره للإيديولوجية والاعتراب.

الانتقادات :

- لم تستطع الاستفادة من الإطار المرجعي (الماركسية / البنائية الوظيفية) وعدم فهمه بصورة واقعية .
- لم تفلح في أن تشكل بديلا نظريا لتحليلات "داهرنديروف" حول الصراع الطبقي جاءت بعيدة عن الكثير من الحقائق الواقعية ، أي أن نظرية الصراع قدمت رؤية جديدة لتفسير الواقع حسب وجهة نظر روادها.
- تبنت الصراع كمدخل تحليلي لدراسة القضايا والمشكلات الواقعية ومحاولتها طرح عدد من البدائل النظرية من ناحية ، لكنها عزلت الصراع واعتبرته نتاجا للظروف الواقعية والمجتمعية دون وصف وتحليل هذه الظروف.
- لم تقدم أي بديل نظري كما أنها لم تفلح في تقديم مفاهيم خاصة بها.
- رغم اعتماد الكثير من روادها على الدراسات والبحوث التطبيقية الميدانية إلا أنها لم تخرج عن إطار الافتراضات الوظيفية والماركسية التقليدية، كما

(2) محمود عودة : أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص109.

يظهر في دراسات "لوكوود" وتحليلات "كولنز" عن النسق الاجتماعي والنظم الاقتصادية والسياسية (1).

محاضرة رقم (09)

4- مدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية) :

تعد الرؤية المثالية النقدية من التيارات البارزة التي تطورت خلال الستينات من هذا القرن بوصفها موقفاً راديكالياً في علم الاجتماع ، والواقع أن هذه الرؤية قد تطورت من خلال مواقف مختلفة نمت خلال الفترة الستينات لعل من أبرزها في ذلك الوقت حركة "الهيبيز" أو الحركة المضادة للحضارة الغربية الرأسمالية ، فقد أكدت هذه الحركة على مسألة التعدد الشخصي ، وعلى الأساليب البديلة في الحياة والحالات المتغيرة للوعي ، كما أكدت على أنماط أخرى من التغيير يمكن أن يبادر بها الأفراد وان تنظم على أساس فردي .

4-1 الجذور الفكرية للنظرية:

معهد فرانكفورت للأبحاث الاجتماعية (1923) أو ما أصبح يعرف بمدرسة فرانكفورت (Frank School) التي مثلت أحد دعائم الفكر النقدي الحديث ، وعلى الأخص ذلك الفكر المتصل بنقد النظرية الماركسية ، ويبدو ذلك واضحاً في كتابات "كروس" (Crosce) الذي اعتبر الماركسية مجرد منهج للتفسير التاريخي يرتبط ارتباطاً قوياً بفلسفة "هيجل" ، وكان "سوريل" ناقداً عنيفاً لفكرة الحتمية التاريخية ، وجملة الانتقادات والإسهامات التي شكلت فلسفة نقدية "فلسفة الممارسة الثورية" ابتداءً من "كورش" (Korsch) ، "لوكاش" (Lucach) "جرامشي" وصولاً إلى مدرسة فرانكفورت كما يمثلها "هوركهaimer" (Horkheimer) "أدورنو" (Adorno) ، "إريك فروم" (Fromm) "هاربرت ماركوز" ، "هابرماز" حيث اتخذوا موقفاً مناهضاً من الوضعية متأثرين بكتابات "دلتي" عن "مفهوم

(1) عبد الله عبد الرحمان : النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص120.

الروح" ودور التاريخ في تشكيل المجتمع الإنساني، فضلا عن الفلسفة الفينومولوجيا الألمانية، وفلسفة التاريخ التي تطورت في ألمانيا بفضل جهود "كروس" و"جينتايل" كما تأثرت بالأحداث السياسية التي عاصروها كالحرب العالمية الأولى، الثورة الروسية.

وبذلك تحول مفكرو هذه المدرسة إلى الفكر الهيجلي ليؤكدوا على أهمية العنصر الذاتي في النشاط القومي، ويمنحون البناء الثقافي قدرا كبيرا من الاستقلال مبرزين الدور المستقل الذي يمكن أن يلعبه الوعي الإنساني، انطلاقا من المتغيرات المادية والفكرية⁽¹⁾.

4-2 تعريف النظرية النقدية:

وينعكس هذا المنظور على المنظور علم الاجتماع في مجموعة من النظريات يمكن أن نطلق عليها "المثالية النقدية"، وتستند المثالية النقدية هذه على بعض الأفكار المستمدة من الكتابات الفلسفية لكارل ماركس (أي مرحلة الشباب وقبل أن نظريته في الاشتراكية العلمية)، لكنها تنطلق تماما وبشكل كامل من النظرية الماركسية والأعمال الماركسية، كما أن المثالية النقدية تستند أيضا إلى دعم نظري من "التفاعلية الرمزية" و"الاثنوميتودولوجيا" و"الفنومينولوجيا"، وهي النظريات ذات الطابع الليبرالي الأساسي الذي لا يناقش قضايا المجتمع ومشكلاته بوصفها كل لا يتجزأ.

ويتمثل المبدأ الأساسي في المثالية النقدية في أن السلوك الإنساني محكوم بالطريقة التي يفكر بها الناس في الأشياء، وأفكار الناس حول حالهم تظهر من خلال التفاعل بينهم، حيث يسعى كل عضو في عملية التفاعل إلى أن يعرف الأشياء بالنسبة للآخر أو يعرفها للآخر، وتميل المثالية النقدية إلى تأكيد قدرة الناس على

(1) السيد الحسيني : نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص222.

المعالجة العقلانية والمنطقية للمواقف وعلى تغيير سلوك الآخرين ببساطة شديدة عن طريق مواجهة هؤلاء الآخرين بأفكار جديدة وأنماط سلوكية جديدة (1).

والجدير بالذكر أن المثالية النقدية تعاني من أوجه القصور التي ظهرت بشكل واضح في كافة حركات "الهيبيز"، حقيقة يبدو أن بعض الناس يتمتعون بالحرية والإمكانيات التي تمكنهم من الهرب من القيود التي يفرضها عليهم النظام الاجتماعي المسيطر.

3-4 النظرية النقدية وعلم الاجتماع:

ظهرت أولى التحليلات السوسيولوجية التي نشرت في كتاب مجالات علم الاجتماع (1956) حيث تصور رواد المدرسة مفهوم علم الاجتماع بعيدا عن تصور النظرية الوضعية التي تمثلت في آراء "أوجيست كونت" وغيره وما تميزت به - حسب رأيهم- بالسطحية والاهتمام بالإطار الشكلي دون المضمون (1)، وفي هذا الصدد ذهب "هوركهبايمر" إلى أن ثمة تعارضا أساسيا بين النظرية الوضعية والنظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)، فالأول تنظم الخبرات الإنسانية في ضوء الطريقة التي تكفل إنتاج الحياة داخل المجتمع ومعنى ذلك أن العالم الخارجي هو الذي نشأ المشكلات وأساليب استخدام العلم في المواقف الفعلية وأهداف تطبيق المعرفة أما النظرية النقدية فإنها تنظر إلى الإنسان بوصفه منتجا لأشكال الحياة التاريخية هو موضوع النظرية.

إن علم الاجتماع طبقا للنظرية الوضعية يعني تكرار الواقع الاجتماعي الراهن عن طريق التعبير عنه بصورة علمية محددة، بينما تعالج النظرية النقدية هذا الواقع من خلال إعادة إنتاجه، وبالتالي فإنها لا تقتصر على مجرد وصف الوضع الراهن بل تتعدى ذلك إلى المساعدة على تجاوزه وتخطيه، ولعل هذا ما قصده "هابرماس"

(1) محمود عودة: أسس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 110.

(1) عبد الله محمد عبد الرحمان: النظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 437.

حين ذهب إلى أن علم الاجتماع يجب أن يؤدي وظيفة تحرير الإنسان من حالة الاغتراب وأساليب السيطرة التكنولوجية⁽²⁾.

كما حرص رواد هذه المدرسة على تطوير البحث الميداني ، وهذا ما تجسد في المؤتمر العلمي (1951)، وذلك بعقد المؤتمر حول البحث الاجتماعي ، وتأكد في المؤتمر منطق العلوم الاجتماعية الذي ترأسه "كارل بوير" مع "ادرنو" الذي أكد على أهمية وجود نوع من التوافق بين كل من مفاهيم علم الاجتماع والنظرية النقدية وطبيعة المواجهات التصورية (النظرية) التي توجه البحث السوسيولوجي لدراسة الواقع الميداني.

محاضرة رقم (10)

4-4 إسهامات بعض رواد المدرسة النقدية:

"رايت ميلز" والخيال السوسيولوجي :

اختلف في تصنيف أعماله وتحليله فهناك من اعتبره برجماتيا وهناك من رآه رومانسيا بالرغم من انه ساهم في النضج التكنولوجي للبحث السوسيولوجي عندما عمل بمكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية ، كما له صلة بالفكر الاشتراكي ، وقد اهتم الغرب بمقال واحد من أعماله وكان تركيزه على جهوده البحثية من مواقفه ورواه النظرية ، و بالتالي وضح جانبا من القضايا التي أثارها وهو الجانب المتعلق بحرفية البحث السوسيولوجي وأساليبه الفنية ويمكن تلخيص أهم جوانب فكره⁽¹⁾:

- ينظر أحيانا لعلم الاجتماع على أنه رؤية برجماتية ، فالأفكار والنظريات ليس لها قيمة في ذاتها لأن الذي يحدد قيمتها ما تستطيع أن تفعله في الواقع ، ولهذا كان يربط دوما بين الحقائق وقواعد العمل وأساليبه التي يجب اتخاذها ، كأن يصف

(2) السيد الحسيني : نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص 236.

(1) عبد الباسط عبد المعطي : اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 151.

ويحلل عمليات العلاقات الإنسانية ، ويقدم في الوقت نفسه حلولاً للمشكلات الخطيرة التي يتعرض لها البناء الاجتماعي للمجتمع الأمريكي.

- دعا إلى الأخذ بالنظرة الشاملة في الدراسة السوسيولوجية ، بحيث يكون تركيز الباحث على مستويات ثلاثة هي : الإنسان والمجتمع والتاريخ فالمشكلات التي يعاني منها الناس هي نتاج مشكلات البناء الاجتماعي العام ، وهما يرتبطان بمشكلات التاريخ.

- يرجع رايت ميلز أزمة علم الاجتماع الغربي إلى التصورات الخاطئة للعلم نفسه فالمفهوم السوسيولوجي عنده لا بد أن يكون فكرة ذات مضمون إمبريقي .

- عاب ميلز على معظم المنشغلين بعلم الاجتماع في و.م.أ موقفهم من التراث الماركسي ، وأكد أن ثمة فرقاً بين أن تفهم وترفض وتقاوم ، وبين أن ترفض وتقاوم دون فهم ووعي.

- في محاولته الربط بين نقد المجتمع الأمريكي ونقد علم الاجتماع فيه ، وهي نقطة كثيراً ما تغيب عن من يصنفون أنفسهم ضمن حركة النقد في علم الاجتماع وضع ميلز قضية اغتراب الإنسان الأمريكي وتزييف وعيه ، وبالتالي طبعه باللامبالاة والقصور فيما يتعلق بالتغيير ، وحاول ربط هذا والواقع بجانب عوامل أخرى بالطبع والإيحاء للإنسان بأن مشكلته ليست مشكلة اجتماعية بنائية وإنما نفسية شخصية ، وكثيراً ما أكد الباحثون من خلال دراساتهم له أن المسألة تعود إلى تكيف الإنسان وتوافقه مع الواقع المحيط ، فكلما كانت لديه قدرات نفسية على التكيف والتوافق قل اغترابه والعكس صحيح ولكي يثبت عجز مثل هذه التأويلات قام بانجاز عدة دراسات حول الطبقات الاجتماعية⁽¹⁾.

- عن طريق تصحيح مسارات علم الاجتماع طالب بضرورة تصالح الباحث بما اسماء الخيال السوسيولوجي حتى يتسنى إدراك أبعاد مشكلات المجتمع ، فهذا كفيل

(1) محمد عاطف غيث : دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت 1975 ، ص 229.

بان يساعد الباحث على إدراك أن الفرد جزء من البناء الاجتماعي ، وان البناء الاجتماعي جزء ومرحلة من مراحل التاريخ ، وبالتالي إدراك سياق المشكلات وانه سياق بنائي وليس فرديا أو شخصيا ذاتيا(2).

- "الفن جولدنر" و أزمة علم الاجتماع الغربي:

كان يرد اسم " الفن جولدنر" بين الوظيفيون المعتمدين بدراسة التنظيم الاجتماعي ، والتنظيم الصناعي بشيء من التخصيص ، هكذا صنف بعد نشره الدراسة الشهيرة (أنماط البيروقراطية الصناعية) عام 1954 والتي تبين تأثيره بـ ميرتون أحد المنظرين المعاصرين للوظيفية، في عام 1970 صنف من أنصار الاتجاه النقدي لعلم الاجتماع الغربي من داخله وذلك بعد نشره لعمله (الأزمة المقبلة لعمل الاجتماع) 1970، ثم نشره لكتابه النقدي الثاني (من أجل علم الاجتماع التجديد والنقد في علم الاجتماع اليوم) عام 1973، الذي حاول الرد فيه على كتابه الأزمة المقبلة.

ويلخص جولدنر ملامح الأزمة المقبلة لعلم الاجتماع الغربي من خلال المظاهر التالية (1):

- اتجاه نماذج الوظيفية والنموذج البارسونزي خاصة نحو الالتقاء مع الماركسية التي كانت في السابق عدوها المناظر .
- اغتراب الباحثين السوسيولوجيين الشباب عن البنائية الوظيفية .
- ظهور ميول من خلال بعض التغييرات الفردية لتأسيس جماعات و منظمات جماعية .
- تنامي النقد التكنيكي للنظرية الوظيفية .
- التحول من النقد السلبي إلى تطوير بناء ايجابي يطالب ببدائل نظرية ذات توجيهات وافتراضات جديدة .

(2) C.Mills, The Sociological Imagination, op.cit, pp. 12-13.

(1) السيد محمد الحسيني: النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة، ط1، 1977، ص100.

- تطوير نظريات ومشكلات بحثية وبسيطة موجهة نحو قيم الحرية والمساواة أكثر من التوجه نحو الحفاظ على النظام الذي كانت تجتد في طلبه الوظيفية.

ولقد حاول تحديد العوامل التي أسهمت في هذه الأزمة فيما يلي :

- ظهور بناءات فوقية جديدة بين شباب الطبقة الوسطى تعارض الوظيفية وحدوث تباينات داخل الوظيفية نفسها ، وتطور دولة الرفاهية التي لم تعد الافتراضات الوظيفية قادرة على ملاحظتها وتدعيمها .

- حاول تقديم بعض الملاحظات الشخصية التي ركز أهمها في ظهور علم اجتماع أكاديمي في المعسكر الاشتراكي ، وانتقال الوظيفية نحو الشرق من خلال بدء النظر في قضاياها كالتوازن ، على أنها قضايا مطلوبة للمجتمعات الاشتراكية في مراحل تحولها ، وتتركز ملامح الأزمة في خلق علم اجتماع أكاديمي في ما يمكن أن يشكل اتجاها متميزا عن الماركسية .

- أكد دعواه إلى إقامة ما يسمى بعلم الاجتماع الواقعي الاستقرائي ليس غرضها خلق نظرية جديدة ، بل السعي نحو إقامة ظروف إنسانية تقضي بتصحيح الوعي الزائف بالإنسان وواقعه ، ولذا فمهمة علم الاجتماع وضع برنامج لتصحيح الواقع، وهذا يتطلب نقد التصورات الشائعة لرفضها والتحرر منها بالتأكيد على ما يلي (1):

- ضرورة دراسة نظرية علم الاجتماع كمنتج تاريخي .

- ضرورة دراسة نظرية علم الاجتماع في سياقها التاريخي.

- ضرورة دراسة نظرية علم الاجتماع في سياق الجهود السابقة لها و اللاحقة أيضا .

- ضرورة الكشف عن تأثيرات النظرية في تصور الإنسان والمجتمع وتغييرهما.

(1) عبد الباسط عبد المعطي : اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص160.

- "هوركهائمر" :

تميزت كتاباته بالطابع التحليلي النقدي، حيث انتقد التصور الماركسي للتطور التاريخي باعتباره نتاجا لضرورة الآليات الاقتصادية، لكن الشواهد التاريخية خلال فترة هتلر وظهور النقابات الثورية الأمريكية والبيروقراطية السوفياتية تعتبر شواهد واقعية تنفي تماما الرؤية الماركسية، وهذا ما جعل الماركسية المحدثة تغير تفكيرها الكلاسيكي لأن الكثير من دول العالم الثالث تبنت الماركسية بعيدا عن وجود طبقة عاملة، ومن هذا المنطلق نجد "هوركهائمر" يؤكد على أهمية تحالف الطبقات الاجتماعية بما فيها الرأسمالية من أجل التطور والتغير معتمدة في ذلك على قوى التطور والتقدم التكنولوجي.

كما يرفض "ادرنو" وجهة نظر الماركسية، حيث يصور أفكاره في إطار فكرته عن التشيؤ التي يعتبرها العملية المسؤولة عن تحول القدرة الإنسانية (قدرات الذات) إلى أشياء.

وهذا ما يتبلور في أهداف النظرية النقدية، وذلك بسعيها لإعادة بناء المجتمع الحديث حتى تتحقق أهدافها و غاياتها التي تتركز في إشباع حاجات أفراد المجتمع وجماعته، وجعله خاليا من مظاهر الاستغلال والهيمنة.

- "هريبرت ماركيوز":

اهتم "ماركيوز" بالتحليلات السياسية والسوسيولوجية، جعلته ينتهي إلى مقولة هامة مفادها: أن العقل الإنساني له دور ثوري في حياة الإنسان، كما تعكسه ذلك حقائق التاريخ البشري، إلا أن طبيعة الرأسمالية المحافظة أو الماركسية وضعت قيودا عديدة على العقل الإنساني وجعلته أسير الإيديولوجيات الفكرية التي حدثت من مبادرات وإمكانيات هذا العقل ورغبته في الإصلاح والتغيير، لذلك ركزت على أهمية العقل وتطور المجتمعات الإنسانية، وتحقيق الحرية كوسيلة لتحرير البشرية لتتجاوز تناقضات النظام الرأسمالي كالتقدم بين التقدم التكنولوجي والواقع الاجتماعي والخروج من دائرة البعد الواحد في التفكير والسلوك التي تجعل الفرد في طاعة مستمرة عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية والإعلامية، لكن التقدم

التكنولوجي في المجتمعات الصناعية قد فرض ضربا من الهيمنة تكاملت بفعلها الطبقة العاملة تكاملا اجتماعيا وثقافيا مع مختلف القوى الاجتماعية (1).

ويطرح "ماركيوز" بديلا لمقاومة هذا النظام يتمثل في ما اسماه :الرفض أو السلب أي اتخاذ موقف سلبي ، وذلك برفض الأساليب القائمة ونقد الواقع بصورة مستمرة ، وهذا ما جعله يتبنى طريقة العنف الثوري ضد المجتمعات الغربية ، وضد اشتراكية الاتحاد السوفياتي التي نجحت في جعل الغالبية العظمى من شعوبها تدرج تحت النظام لتكيف مع أساليبه وأهدافه ومن ثمة فهي غير قادرة على الإعلان عن مطالبها وأهدافها.

"أريك فروم" والدراسات السوسيو سيكولوجية:

لقد ركزت العديد من الدراسات على أهمية العنصر الذاتي في النشاط الواقعي وجاءت تحليلات "فروم" السوسيو سيكولوجية من خلال تحليل الآثار الناجمة عن نظام الفاشية (إيطاليا) ، وطرح ذلك في مقال مميز له (1932) "منهج ومهمة علم النفس التحليلي" الذي أوضح من خلاله كيفية استخدام هذا المنهج في إثراء الدراسة النقدية وفهم النزعات المتطرفة مثل: الماركسية والوضعية الرأسمالية من وجهة نظر النظرية النقدية وخاصة التحليل السيكولوجي ، وركز في مجموعة من المقالات على تطور الشخصية في المجتمعات الحديثة ، وكيفية تأثيرها بالنزاعات السياسية والإيديولوجية المتسلطة وتأثيرها السلبي على الإنسان الحديث ، كما جاءت إسهاماته في مؤلفه "الخوف من الحرية" ليوضح فيه كيفية الاستفادة من الاتجاه الاجتماعي النقدي ، حيث أوضح دور العوامل الاجتماعية واعتبرها عوامل سيكولوجية بقدر ما هي ظروف موضوعية (1).

"بورجان هابرماس" وتحديث مدرسة فرانكفورت: يعتبر "بورجان" آخر رواد مدرسة فرانكفورت ، حيث حاول صياغة النظرية النقدية في إطار دراسته لأشكال

(1) السيد الحسيني : نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق، ص 231.

(1) خالد حامد : مرجع سابق، ص 116.

المعرفة والثقافة باعتبارها العامل الرئيسي للتطور الاجتماعي وبديلا عن العنف ، ويؤكد أن أفراد المجتمعات الإنسانية تجمعهم مصالح مشتركة ، فالعمل ليس وحده ما يميز الإنسان عن الحيوان ، ولكنه كذلك يستخدم اللغة كوسيلة للتواصل فكل من العمل والتواصل ينتجان شكلين مختلفين من أشكال المعرفة حيث يؤدي العمل إلى ظهور المصلحة التقنية التي تتمثل في السيطرة على العالم الخارجي ، ومن ناحية أخرى تعتبر اللغة هي الوسيلة التي عن طريقها يختار البشر بيئتهم ومجتمعاتهم والتي تؤدي إلى ظهور ما يسمى بالمصلحة العلمية، وتظهر هذه المصلحة من خلال عمليات التفاعل البشري وتأويل أفعالنا التي تتم داخل التنظيمات الاجتماعية⁽¹⁾.

وتوصل "هابرماس" إلى أن المصلحة العلمية تؤدي إلى ظهور النوع الثالث من المصالح، وهي مصلحة التحرر المرتبطة أيضا باللغة والتي تسعى لتخليص التفاعل والتواصل من العناصر التي تشوبها.

وعموما تؤدي مصلحة التحرر إلى ظهور العلوم النقدية التي تعتمد أيضا على تحليل السيكولوجي، وتساعد على استخدام التفكير والوعي الذاتي في تعقل الأدوار والأشياء وتجعل التفاعل الاجتماعي مقبولا اجتماعيا.

كما سعى "هابرماس" خاصة في نظرية الفعل الاتصالي (1987) إلى ما اسماه بفلسفة اللغة ، من أجل تطور الأساس النظري الذي تقوم عليه النظرية النقدية عن طريق ثلاث مراحل وهي :

- الدعوة إلى التحرر عن طريق فلسفة الوعي .
- لابد أن يقوم التواصل والتفاعل على أساس عقلاني رشيد.
- تتجسد العقلانية في وجود نظام اجتماعي ديمقراطي يشمل الجميع ولا يهدف إلى الهيمنة بقدر ما يقوم على أسس التواصل والتفاهم.

(1) عبد الله محمد عبد الرحمان : النظرية في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 455.

وفي تتبعه لمراحل تطور المجتمعات الرأسمالية سعى ليطور نظريته عن الأزمات وتفسيره لمراحل تطور النظام الرأسمالي وكيفية ارتباط كل مرحلة بأزمات معينة : فظهور الإدارة الاقتصادية أدت إلى ظهور الصراع بين أصحاب العمل والعمال وهي الأزمة التي أدت إلى تدخل الدولة كنوع من الاستجابة، وب تدخل الدولة ظهرت أزمة عقلانية وهي أزمة مرتبطة بجوهر النظام الرأسمالي ، حيث أن فرض الدولة لمبالغ مالية أدى إلى ظهور أزمة مالية ، فضعف النظام الرأسمالي يرجع إلى ضعفه في إدارة الأزمات خاصة على المستوى السياسي ثم تنتقل الأزمة إلى المستوى الاجتماعي والثقافي⁽¹⁾.

محاضرة رقم (11)

5-4 الأفكار الأساسية للمدرسة النقدية:

إن طابع الفكر التشاؤمي غلب على فكر المدرسة فرانكفورت وقد أجمعت المدرسة على فكرة الهيمنة ، مبرزة الكيفية التي يهيمن بها النظام الاجتماعي على الأفراد من أجل تجده واستمراره وفيما يلي مجالات الهيمنة:

-العقل الأداتي: أن العقل الأداتي هو منطق التفكير وأسلوب في رؤية العالم، فقد ذهب "لوكاش" إلى أن النظام الاقتصادي الرأسمالي منظم بطريقة تجعل العلاقات بين البشر كما لو أنها علاقات بين أشياء "التشيؤ" وان نظرة البشر لنفسهم ولغيرهم تغدو كنظرتهم للأشياء المادية ، وان العالم الاجتماعي أصبح غير قابل للتغيير ومستقلا عن أفعالنا مثله مثل العالم الطبيعي .

وأما مصطلح الأدوات فيحمل مضمونين: فهو أسلوب لرؤية العالم - وأسلوب لرؤية المعرفة النظرية.

- رؤية العالم باعتباره أداة: تعني اعتبار عناصره أدوات نستطيع بواسطتها تحقيق غاياتنا مثلا : أنا لا انظر إلى الشجرة لما يجلبه جمالها لي من رضا بل أراها خشبا يمكن أن يحول إلى ورق.

(1) نفس المرجع: ص 455.

- المعرفة باعتبارها أداة : وذلك بالنظر إلى المعرفة على أنها وسيلة لتحقيق غاية مفصولة عن أي قيمة إنسانية ، فاهتمامنا منصب على اكتشاف كيف تصنع الأشياء وليس على ما يجب ان تصنع ، فالمعرفة بصورة العقل الأدوات تتساوى مع القوة والهيمنة.

- **الهيمنة الثقافية** : لقد ركزت مدرسة فرانكفورت على الثقافة باعتبارها العامل الذي باستطاعته دمج الأفراد بالمجتمع دمجا ناجحا ، فالكانن البشري له قدرات و إمكانيات معينة ، سلبت منه في المجتمع الحديث ، فأشكال الثقافة كالفن والأدب والموسيقى نتاجا لقدرات البشرية وفي ذات الوقت هي نقدا لمجتمعنا (اي لها وظيفة نقدية) ، وهنا يتحدث "ماركوز" عن الطريقة التي تنتج بها صناعة الثقافة حاجات زائفة وتشبع تلك الحاجات التي هي إفساد للحاجات الحقيقية ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الحركة النسوية التي تم احتوائها من طرف الثقافة المهيمنة فحولتها من حركة للمطالبة بالمساواة إلى المطالبة بحق المرأة في السعي إلى الاستقلال ، مما اقتضاها التركيز على قدراتها التنافسية سعيا وراء النجاح ، وبالتالي التخلي عن أكثر الصفات الإنسانية التصاقا بها (1)

ويضيف "أدرنو" أن النظام الرأسمالي يولد شعورا بعدم الأمان الاقتصادي لكن هيئات الثقافة العامة أدت إلى إنتاج شعور بديل هو شعور زائف بالأمان والاستقرار ، فأى نسق اجتماعي يستبعد القدرات الإنسانية الأساسية يخلق شعورا بعدم الأمان.

- **سيكولوجية الهيمنة**: لا تدخل الهيمنة في بنية صناعة الثقافة فقط ، بل إنها تتطلب سمات شخصية لا تكفي بالاستجابة بالهيمنة بل تسعى إليها ، أي أن الهيمنة تنفذ إلى أعماق النفس الإنسانية ويستخدم في هذا المجال التحليل النفسي.

(1) إيان كريب: النظرية الاجتماعية ، ت: محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1999.

إذ يرى "ماركوز" أن الفرد في ظل مراحل الرأسمالية المتقدمة يعاني من درجة عالية من الكبت ، وإزاء ذلك يعمل النظام الرأسمالي على ما يسميه "ماركوز" الترغيب القمعي ، فهي حالة اقتنع فيها بإشعاع رغباتي بطرق تنفيذ النظام (كربط البضائع بالجنس) استخدام النساء العاريات في تسويق البضائع، أي كبت الرغبات وتوجيه طاقتها وجهة أخرى.

وفي مؤلفه "الشخصية التسلطية" ركز اهتمامه على الاستغلال الاجتماعي لحواضرنا الداخلية ، ويقارن في ذلك بين المراحل الأولى للرأسمالية التي كانت تمثل مرحلة الفردية التي استطاع فيها الإنسان أن ينمي شخصية قوية ويتخذ القرارات بنفسه ويتبنى توجهات نقدية نحو العالم .

و الشخصية القوية المستقلة هي في الحقيقة البعد الآخر بعد الثقافة ، وهي من الأبعاد التي فقدتها الإنسان في المجتمع الحديث نتيجة لدمج عالم الإنسان الخاص في المجال العام مما أدى حرمانه من الأساس المستقل للحكم على الأشياء ، وتأتي هذه الشخصية القوية نتيجة العمليات التي وصفها "فرويد" وتحتاج إلى إيجاد أب قوى ومستقل يتخذه أبناؤه قدوة ، يقترنون به ويصارعونه في آن معا أثناء نموهم.

ويتطور النظام الرأسمالي ووجود دولة مركزية قوية يتزعزع دور العائلة وقوة الأب سواء داخل العائلة أو خارجها وتفقد العائلة لوظائفها ، وهذا ما يجعل الابن يجد قواعد أخرى للانتماء ، ولذا فإن النظام يولد شخصيات نرجسية ضعيفة يستبد بها القلق والتطلع للقدوة القوية للاقتتران بها ، ولما كانت غير موجودة في البيت فإنه ينشدها (الابن) في العالم الخارجي فقد تكون مطربا مشهورا ، أو حتى شخصية استبدادية أو حزبا متطرفا.

4-6 تعقيب:

لقد عكست هذه النظرية مرحلة تاريخية استمدت جذورها من الإراصات الفكرية والنظرية واتخذت موقفا نقديا من النظرية الوضعية والماركسية، وذلك لأنها

أصبحت عاجزة عن تفسير واقع المجتمعات الحديثة ، ومن ميزها من سلبيات وأزمات وحاولت طرح بدائل لتغيير الأوضاع اعتمادا على الدراسات الميدانية.

محاضرة رقم (12)

5- النظرية التفاعلية الرمزية :

تعتبر التفاعلية الرمزية من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظريات الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية حيث تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى ، وفهم النسق الاجتماعي معتمدة في ذلك على الرمز باعتباره مهم في عملية التفاعل بين الأفراد.

وترتبط التفاعلية الرمزية بالعالم الاجتماعي الأمريكي "جورج هربرت ميد" والواقع أنها نظرية محدودة ، أي أنها ترتبط بموقف معين من مواقف الحياة الاجتماعية ولا تسعى إلى فهم المجتمع ككل ، وهي ليست نظرية عامة في المجتمع بقدر ما هي نظرية في التنشئة الاجتماعية ، مع أنه حاول تطويرها كنظرية شاملة في المجتمع

5-1 الجذور الفكرية لتطور النظرية التفاعلية الرمزية:

ظهرت التفاعلية الرمزية بظهور النزاعات الاجتماعية السلوكية أو ما يعرف بالنزاعات الاجتماعية النفسية ، كمدرسة شيكاغو (أواخر القرن التاسع عشر) وتحليلات "سمول" (A.semall) ، "وليام توماس" (w.Thomas)، "ربرت بارك" (R.Park) من جامعة هارفارد والتي ركزت على الخصائص الحضرية والبيئية والاجتماعية والسيكولوجية و الثقافية التي تؤثر على عمليات التفاعل بين الجماعات المحلية ، كما تعود جذورها إلى إسهامات علماء النفس والتربية الفلسفة وعلم الاجتماع ، وهذا ما ظهر في إسهامات "جورج ميد" (G.Mead) وعالم البرجماتية "جون ديوي" (G.Dewey) اللذين أسهما في التحليلات السلوكية الواقعية

وتفسيرها للكثير من الحقائق الاجتماعية والنفسية ، ثم "هربرت بلومر" (H.Blumer) وبارك توماس⁽¹⁾ (P.Thomas) .

وقد ظهرت في بداية القرن العشرين على يد "جورج هربرت ميد" خاصة في كتابه (العقل والذات والمجتمع) ، فالفرد في تفاعله مع الآخرين يكون صورة ذهنية أو رمز عن كل فرد تفاعل معه ، وهذا الرمز قد يكون محبباً أو غير محبب وطبيعة الرمز الذي أعطاه الفرد للآخرين هو الذي يحدد علاقته معهم⁽²⁾ .

2-5 مفهوم التفاعلية الرمزية:

يشير مفهوم التفاعلية الرمزية إلى عملية التفاعل الاجتماعي التي تحصل بين الأفراد ، حيث تنتج هذه التفاعلات الرموز التي كونها الأفراد عن الآخرين بعد التفاعل معهم ، بمعنى بعد تفاعل كل فرد مع فرد أو فرد مع جماعة ، يكون صورة ذهنية على من تفاعل معهم وتكون بشكل رمز ، هذا الرمز قد يكون ايجابياً أو سلبياً وتتحدد على أساسه علاقة الفرد بالآخرين ، حيث تكون علاقاته سلبية أو ايجابية حسب طبيعة الرمز ، كما يكون ذلك التفاعل الذي يقوم على استخدام الرمز الذي يتخذ صور وأشكال متعددة مثل : اللغة⁽³⁾ .

وهي أيضاً عملية التفاعل الاجتماعي الذي قد يكون فيه الفرد على علاقة واتصال بعقول الآخرين ، وحاجاتهم ورغباتهم ووسائلهم في تحقيق أهدافهم . ويعرف "انتوني غدنز" التفاعلية الرمزية بأنها تعني بالقضايا المتصلة باللغة والمعنى .

ويرى "ميد" بأنها تنتج لنا الفرصة لنصل لمرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا ، كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يربنا الآخرون⁽¹⁾ .

(1) عبد الله عبد الرحمان ، النظرية في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 167 .

(2) إسماعيل على سعد : الاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص 83 .

(3) نفس المرجع ، ص 84 .

(1) انتوني غدنز : علم الاجتماع ، ت: فايز الصياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص 76 .

وقد استخدم هذا المفهوم لتمييز نمط من العلاقات الاجتماعية ولتفسير بعض الملاحظات الخاصة بالإنسان سلوكه وتفاعله ، ذلك التفاعل الذي يقوم على استخدام الرموز التي تتخذ صوراً وأشكالاً متعددة .

5-3 أهم إسهامات رواد التفاعلية الرمزية:

"جورج هيربرت ميد": هو من أشهر علماء الاجتماع ومن المؤسسين للاتجاه التفاعلي الرمزي ولد عام 1863 وتوفي 1931 ، من أهم أعماله كتاب (العقل والذات و المجتمع).

لقد وضع أسس نظرية التفاعلية الرمزية وحدد مقولاتها الأساسية فيما يلي:

- الذات والعقل: أن الذات عضو نشط يستجيب للأشياء حسب نوعية الدافع الذي يسعى لإشباعه.

- التفاعل الاجتماعي: ركز "ميد" على أهمية تحليل أنماط التفاعل أو محصلة الأفعال الاجتماعية التي عن طريقها يتم تشكيل المجتمع الإنساني ، فالتفاعل يحدث من خلال العلاقات الاجتماعية بين الجماعات كالأُسرة التنظيمات النقابات ، اللعب وغيرها.

- المعنى الرمزي: يسعى "ميد" بتحليل المراحل الأولى التي يتم من خلالها تكوين الذات: مرحلة ما قبل اللعب ، مرحلة اللعب ، مرحلة الإلمام بقواعد اللعب (2).

ويرى أيضا أن النفس البشرية تتكون من :

- الأنا الفردية: وهي تتضمن استجابة الفرد للاتجاهات الخارجية نحو الذات.

- الذات الاجتماعية: وهي عبارة عن اتجاهات الآخرين نحو الأنا الفردية.

النفس البشرية = الأنا الفردية + الذات الاجتماعية.

- كما وضع ميد ثلاث مراحل لتطور النفس البشرية وهي :

(2) سناء الخولي: المدخل إلى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1998، ص82.

مرحلة التقليد الأولية: وهي مرحلة الطفولة حيث تتميز بتقليد الطفل ومحاكاته للمحيطين به كالأم والأب ...

مرحلة التقليد الثانوية: تتسع فيها معارف الطفل كما يتسع فيها نطاق تقمص وتقليده للأدوار الاجتماعية فيقلد مثلا المعلم، الشرطي وتسمى هذه المرحلة أيضا بلعب الأدوار .

مرحلة المبادرة: ويتسع فيها نطاق التفاعل ليشمل أوجه متعددة كما يصبح الفرد قادرا على تبني اتجاهات الآخرين.

"هربرت بلومر" (1900-1981):

هو أول من أطلق تعبير التفاعلية الرمزية من خلال الفرضيات التي صاغها (1969) عن عملية التفاعل وتتلخص فيما يلي :

- أن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
- المعاني تحور وتعديل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

إن هذه الافتراضات تتطابق مع الأقسام الثلاثة لكتاب "ميد" العقل والذات والمجتمع ، ونقطة البدء عنده هي مناقشته للخصائص التي تفرق الإنسان عن الحيوان ، ويكمن هذا الفرق كما يرى الكثير من المفكرين في استخدامهم "اللغة" أو "الرمز الدال" الذي يمنح البشر القدرة على التأمل في ردود أفعالهم والاستعداد لها في خيالهم ، فباللغة يمكننا التفكير في الأشياء بصورة مجردة وهذه النقطة توصلنا إلى عملية التأويل التي أشار إليها "بلومر" في الفرضية الثالثة.

وقد استند في صياغتها على أعمال "ميد" التي تنظر إلى الحقيقة الاجتماعية على النحو التالي⁽¹⁾:

(1) إحسان محمد الحسن: النظريات الاجتماعية المتقدمة، دار وائل للنشر ، الإسكندرية ، 2005، ص177.

- أن الناس مهيئون للتفاعل على أساس معاني الموضوعات التي تؤلف عالمهم ،وان السلوك يركز على المعاني الاجتماعية المرتبطة بموضوع معين (الموضوعات المادية والمعنوية).
- تتمثل الترابطات العملية في الإشارات التي يشكلها الناس فيما بينهم ويؤول كل منهم إشارة الآخر .
- أن الأفعال الاجتماعية تتشكل خلال العملية التي يلاحظ فيها الفاعلون وهم يؤولون ويقدرّون المواقف التي تواجههم.
- أن الأفعال المتداخلة والمعقدة الترابط تكون التنظيمات و النظم وتقسيم العمل ، وان شبكة الاعتماد المتبادل ديناميكية وليست ثابتة⁽²⁾ .

أذ يذهب "فكتور تيرنر" في كتابه (غاية الرموز) إلى أن الإنسان محاط بجملة من الرموز التي اختبر معانيها ورموزها ودلالاتها خلال فترة حياته ، مما يجعله يرى نفسه محاطا بعدد غير محدود من الرموز التي لها قيمتها عند الأفراد ، وان هذه التقييمات هي التي تحدد الصلة التي تظهر بين الرمز والإنسان، كما يعتقد "تيرنر" أن علاقاتنا بالأشياء المحيطة تعتمد على تقييمنا لها عن طريق تحويلها إلى رموز ، قد تكن ايجابية أو سلبية بالنسبة لنا اعتمادا على خبرتنا وتجربتنا معها.

- فإذا كانت الرموز ايجابية يكون تفاعلنا معها قوي حيث ننجذب لها ، ونكون أكثر توافقا معها.

- أما إذا كانت الرموز سلبية فإننا ننفر منها وبالتالي تكون صلاتنا التفاعلية معها ضعيفة وهامشية⁽¹⁾.

(2) علي الشتا : نظرية علم الاجتماع ، المكتبة المصرية ، الإسكندرية ، 2004 ، ص 322.

(1) إحسان محمد الحسن : مرجع سابق ، 85.

محاضرة رقم (13)

4-5 الأفكار الأساسية للتفاعلية الرمزية:

ترتبط التفاعلية الرمزية بالعالم الاجتماعي الأمريكي "جورج هيربرت ميد" من جامعة شيكاغو ، والواقع أنها نظرية محدودة أي أنها ترتبط بموقف معين من مواقف الحياة الاجتماعية ولا تسعى إلى فهم المجتمع ككل ، وهي ليست نظرية عامة في المجتمع بقدر ما هي نظرية في التنشئة الاجتماعية ، وهي تستند على مجموعة من المفاهيم الأساسية وهي:

الرموز والمعنى : ينطلق "جورج ميد" من مسلمة مؤداها أن الإنسان هو كائن نشط وفعال ، أن جميع الأنواع الحيوانية تمارس حركات وإشارات وتصدر أصوات في استجاباتها لبعضها البعض ، لكن النوع الإنساني فقط هو الذي سرعان ما يحول تعبيرات الوجه أو الإشارات إلى رموز وأصوات وأفعال تنطوي على معنى ، وتكتسب الرموز أهميتها وتصبح ذات دلالة حينما تكتسب نفس المعنى لدى مستقبلها نفس المعنى الذي كان في ذهن مرسلها أو صاحبها أي حينما يصبح للرمز معنى مشتركاً ، فهي تصبح في هذه الحالة رموزاً اجتماعية تكتسب من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين ، ولكي يصبح الإنسان إنساناً فإنه لابد أن يمتلك القدرة على التفكير ، التي هي نتيجة لسياق لغوي (السياق اللغوي هو نسق من الرموز ذات الدلالة والمعنى) ، أن الإنسانية هي ظاهرة اجتماعية والناس هم كائنات اجتماعية أساساً ، وإنسانيتهم نتاج للتفاعل الاجتماعي الرمزي مع الآخرين⁽²⁾.

فالفرد يتواصل مع غيره من خلال الرموز التي لها دلالتها ومعناها لدى مستقبلها ، وفي هذه الحالة أي عندما يصبح الرمز معنى مشتركاً يصبح رمزاً اجتماعياً يكتسب من خلال التفاعل مع الآخرين.

(2) محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 96.

التوقعات والسلوك: أن المجتمع هو عبارة عن حجم معين من التفاعلات التي تجري بين أعضائه، وهو يتكون من جماعات يرتبط من خلالها الأفراد ببعضهم البعض بالإضافة إلى العلاقات التي تربط الجماعات ذاتها.

ويتم تنظيم السلوك داخل الجماعات وبين الجماعات المختلفة، وتنسيقية من خلال التوقعات، وهي التوقعات التي تخلق وتتطور بواسطة الآخر الهام أو المؤثر أو الآخر المعمم (أي الآخر كرمز عام).

فالناس من خلال التفاعل يتعلموا أن يتصرفوا بالطريقة التي يتوقعها الآخر منهم، ومن ثمة فهم يراعوا أن يكون سلوكهم مطابقا للأنماط السلوكية التي تحدث في المؤسسات والنظم الاجتماعية التي خلفوها، وهم يعلمون أيضا أن الآخرين لديهم نفس التوقعات، ومن هنا فإن أنماط العلاقات بين الناس وجماعاتهم تشكل البيئة الاجتماعية وتتجلى طبيعة المجتمع في كونها انعكاس للتوقعات المتبادلة والسلوك الذي ينجز هذه التوقعات (1).

الأدوار والتفاعل: يؤدي المجتمع مهامه ويستمر في البقاء بسبب قدرة الناس على استخدام السلوك الرمزي أو السلوك الذي يستخدم الرموز كنتيجة لامتلاك اللغة، ومن أهم النتائج المترتبة على هذه الحقيقة ما يسمى بالوعي الذاتي، فالطفل يصبح واعيا بذاته كنتيجة لخبرته باللغة وتعامله معها، والى المدى الذي تتطور فيه قدراته اللغوية، فهو يتعلم معاني الكلمات والاتجاهات المرتبطة بهذه المعاني، والتي يعبر عنها أولئك الذين يستخدمون هذه الكلمات ثم يتعلم فيما بعد ما يتوقعه الآخرون من سلوكه، وبمرور الوقت يكتسب هو ذاته توقعات مشابهة بالنسبة للآخرين، وأن مجموعة التوقعات المرتبطة بسلوك أشخاص معينين تسمى أدوارا.

وتشكل الأدوار المعممة: كالأب، الأم، المدرس... الثقافة أو هي توجد في الثقافة الخاصة بمجتمع ما في زمن ما، وهي التي تحدد ما ينبغي أن يكون

(1) نفس المرجع، ص 97.

عليه سلوك الفرد بوصفه عضوا في جماعة وله ادوار معينة، وهذا ما يعرف بتوقعات الدور، على سبيل المثال سوف يتعلم الطفل من خلال تطوره ونموه ليس فقط كيف يتعامل مع أسرته وماذا تتوقعه منه أسرته، بل أيضا كيف تتصرف الأسرة وأعضائها إزاء الجماعات الأخرى كالمؤسسات، الجيران والدولة وغير ذلك⁽¹⁾.

5-5 المجتمع في ظل التفاعلية الرمزية:

إن المجتمع في ضوء التفاعلية الرمزية هو شبكة معقدة من الأفعال الفردية والتفاعلات بين الأفراد، وان جميع هذه الأفعال والتفاعلات منظمة ومراقبة ومدفوعة بالعضوية الجماعية، بما يترتب عنها من ادوار وتوقعات ادوار، ويستمر المجتمع في أداء مهامه وفي البقاء بسبب التنشئة الاجتماعية للناس حتى يصبحوا قادرين على مواجهة التوقعات، هذه العملية التي تبدأ منذ لحظة الميلاد، وذلك لان الأفراد يعتمدون على بعضهم البعض في المنافع والخدمات الضرورية لبقائهم، ومن ثم فان الأفراد يستدمجون كافة متطلبات أداء الأدوار، ويتطلع كل منهم إلى إنجاز الأدوار المتوقعة منه، ومن ثم فالمجتمع يعمل في تناسق وتعاون من اجل انجاز التوقعات ويتخذ من التدابير المتمثلة في أشكال الثواب والعقاب (وهي تشكل أنماطا واقعية إضافية لأداء الأدوار) ما يراه كافيا وملئما لانجاز هذه التوقعات⁽²⁾.

لذلك تبقى هذه النظرية محدودة النطاق أي أنها ترتبط بموقف معين من مواقف الحياة الاجتماعية ولا تسعى لفهم المجتمع ككل، فهي ليست نظرية عامة في المجتمع بقدر ما هي نظرية في التنشئة الاجتماعية، رغم أن البعض يحاول أن يطور منها نظرية شاملة عن الواقع الاجتماعي وطبيعة أفعالنا المرتبطة بحياتنا اليومية، غير أن هذه المدرسة تتعرض للنقد لأنها لا تهتم بالقضايا المجتمعية التي تتعلق بالبنية وتأثيرها على الأفعال والتفاعلات.

(1) نفس المرجع، ص 98.

(2) نفس المرجع، ص 98.

5-6 الانتقادات الموجهة للتفاعلية الرمزية:

- أكدت التفاعلية الرمزية على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشير إلى أنماط الظروف مهما كان نوع التفاعل ،الذي يؤدي إلى ظهور وانبثاق أي نمط من أنماط البناء الاجتماعي واستمراره وتغييره في سياق أي ظرف من الظروف.

- الغموض الذي اتسمت به أطروحات التفاعلية الرمزية وكيفية تشكيل التنظيم الاجتماعي وتغييره ، فهناك غموض بين عملية التفاعل ونتائجها.

- عدم صياغة براهين وحجج كافية وذلك حول كيف وإلى أين وما عمليات التفاعل ،التي تعمل على تكوين واستمرار وتغيير أنماط التنظيم الاجتماعي المتنوعة والمتباينة .

- تقليل التفاعلية الرمزية من شأن الأبنية الاجتماعية بحيث تجعلها موضوعات ناتجة عن اتجاهات الفاعلين أو الأشياء تتشكل كنتيجة للتفاعل.

- عدم ربط التفاعلية الرمزية بين الأبنية الاجتماعية والعمليات الاجتماعية⁽¹⁾.

محاضرة رقم (14)

6- النظرية الفنونولوجيا:

تعرض علم الاجتماع بصفة خاصة إلى الكثير من مَن الشك والنقد من جانب الشباب من دارسي علم الاجتماع ، الذين لم يقتنعوا بما درسوه عن الوضعية والوظيفية خاصة مع التغيرات العميقة التي حدثت في المجتمعات الغربية بعد الحرب العالمية الثانية والأزمات التي مر بها العالم الرأسمالي.

فعلى المستوى الفكري فقد لجأ الشباب المثقف وخاصة المتخصصين في العلوم الاجتماعية إلى رفض الاهتمام بدراسة أو فهم الواقع الموضوعي اهتماماً بالذات من الداخل وكانت الفلسفة الظاهرية خير معين لهم.

⁽¹⁾ موقع الكتروني.

وعلى ذلك فإن الاتجاه الفينومينولوجي يمكن النظر إليه باعتباره رد فعل محافظ لفشل الوضعية والوظيفية، مقابل الاتجاهات الراديكالية التي تعتبر رد فعل ثوري لفشل الاتجاهات السابقة .

ويحاول الاتجاه الفينومينولوجي في علم الاجتماع إعادة النظر في كثير من المسلمات النظرية والمنهجية الشائعة في الفكر السوسيولوجي الحديث، وهي تأكيد الفارق الهام بين الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية.

1-6 مفهوما:

الظاهرية هي الطريقة لوصف الأشياء الموجودة فعلا كجزء من العالم الذي نعيش فيه، كما جاء ذلك من خلال كتابات "ادموند هوسرل" (Husserl) (1859-1938) مؤسس هذا الاتجاه النظري، والظاهرة قد تكون أحداثا أو مواقف أو تجارب أو مفاهيم، فنحن محاطون بظواهر عدة.

فالظاهرية تعني الوصول إلى الحقيقة الموضوعية من خلال الواقع حيث يصبح ما يعتقد الفرد وقعا، لذلك فإن وضع النظريات والفرضيات والقياسات قبل الدخول إلى الميدان سوف يشوه فهمنا لما يدركه الفرد الذي تقوم على دراسته ذاتيا⁽¹⁾.

كما أن الظاهرية هي دراسة الأشكال المختلفة للوعي وتنوعاته والطرق التي يعي بها الناس العالم الذين يعيشون فيه.

الظاهرية ليس بإمكانها أن تكشف عن بنية الجهاز المفهومي لدينا فحسب ولكنها كذلك تكشف عن الطرق التي نمارس بها نحن وجودنا كأدميين، والتي تختلف عن الكائنات الطبيعية الأخرى مخالفة النقيض للنقيض.

وتشكل مبدأ القصد ملمحا مركزيا في الظاهرية فكل شكل من أشكال الوعي هو دائما وعي بشيء ما ، فليس هناك فصل بين الذات والموضوع ، فماهية

(1) فريد كامل أبو زينة: مناهج البحث العلمي ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، ط2، 2007، ص118.

الموضوع إنما تتشكل بواسطة نوعية القصد المعين الذي يعالج من خلاله الموضوع⁽²⁾.

فالحقائق الاجتماعية لا يمكن فهمها أو إدراكها إلا من خلال معطياتها ومعانيها بالنسبة للأفراد في ذلك المجتمع.

6-2 تطورها :

اهتم مجموعة من العلماء بتطوير النظرية السوسيولوجية وتعزيز أبعادها التصورية والتحليلية، والاستفادة من مناهج ونظريات العلوم الاجتماعية الأخرى في وصف ودراسة الظواهر المجتمعية.

وترتبط هذه النظرية بتحليلات عالم الاجتماع "الفرد شولتز" ومحاولته تطوير هذا المجال من الدراسات الاجتماعية، مستخدماً مجموعة من المداخل النظرية والأدوات التصورية، وذلك في تحديده بصورة عامة الأفعال الاتصالية التي يعتبرها أنشطة تحدث بصورة تلقائية.

وإن كانت تصورات "شولتز" فيما يسمى بعلم الاجتماع الفينومينولوجي ما هي إلا محاولة لتجميع "هوسرل" مع ما يعرف بسوسيولوجيا "ماكس فيبر" حيث سعى "شولتز" إلى تحليل أفكار الأول ومحاولته لإقامة فلسفة دون الاعتماد على فروض مسبقة، تقوم أساساً على الخبرة الذاتية للأفراد وإحساسهم ككائنات بشرية وبأنهم يعيشون ويتصرفون مع العالم ومع الآخرين ويشاركونهم في المعنى العام ولا سيما أن الجميع لديهم خبراتهم حول إدراك جميع الأشياء الخارجية التي تحيط بهم، كما ركز "شولتز" على الاهتمام بتحليلات "ماكس فيبر" من خلال فكرته عن معنى الفعل الاجتماعي وطبيعة الاتصال والسلوك، والتي يتصرف على ضوءها

(2) ميشيل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، ت: عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوم، دار المعرفة، الإسكندرية مصر، ص 531.

الأفراد وهذا ما يتبلور في ما يعرف مقولة الفهم عند "ماكس فيبر" وتفسير الفرد للأشياء الخارجية التي تعتمد على واقع الخبرة والإدراك المستمر (1).

6-3 المفاهيم التي تشتملها النظرية :

تركز النظرية على مفهومها الأكبر "التخلل الذاتي أو الذوات المتداخلة"

والتي تعني إجابات عن التساؤلات الآتية :

1- كيف نعرف أفكار الآخرين ؟

2- كيف نعرف أنفسنا؟

3- كيف يتم تبادل رؤانا و إدراكاتنا مع الآخرين ؟

4- كيف يحصل التفاهم المشترك بين الفاعلين ؟

5- كيف يتصل الفواعل فيما بينهم؟

معنى ذلك أن تداخل ذوات الفاعل لا يحصل بشكل منفرد أو من جانب واحد بل يتطلب حضور الآخر أولا ، وطرح أفكار وأراء يتم نقاشها ثانيا ويتم ساعته يحصل تبادل المشاعر بينهم حبا او كرها ، ودا أو بغضا ، إعجابا او استعلاء (ومن ثمة يحصل تبادل الذوات الفاعل والحضور) التفاعل بينهم ثالثا.

بتعبير آخر يشترط حضور الآخرين بحيوية مفعمة بواسطة نقاشه معهم واستماعهم له ومحادثته إليهم وتفاعلهم معه في فترة زمنية معينة، وبقعة جغرافية معلومة الأبعاد وهنا يتبلور التخلل الذاتي. وهناك مفهوم نظري آخر "النمذجة":

حيث يدخل إلى مدار أوسع وبناء على حالة "التخلل الذاتي" طرح "شوتز" مفهوما آخر في نظريته ليتكامل مع مراد بنائه النظري ، وهو ليسير فور تصانيف الحياة الاجتماعية للآخرين ، الذين يصنفهم حسب معرفته الذاتية لسلوكهم وأقوالهم وأفكارهم وإشكالهم فيسميهم بسمات تحددها معرفته التي غالبا ما تتبلور عن :

(1) عبد الله عبد الرحمان : موسولوجيا الاتصال والإعلام ، النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة ، دار المعرفة الجامعية 2006، ص175.

- طريقة عيشه في المحيط الاجتماعي .
- علاقاته المتنوعة مع زملائه وأصدقائه وأقاربه.
- أهدافه الثقافية.

أي بواسطة التخلل الذاتي يستطيع الفاعل تشكيل نموذج فردي اجتماعي، يضم صفات المتفاعل معه يختزل فيه سيرته الذاتية أو سماته الشخصية ، أو نمط تفكيره بصفة عامة وشاملة تغطي اغلب صفاته السلوكية أو الفكرية الظاهرة والباطنة (أي بسمة تفسر معظم صفاته التي عثر عليها أو لمسها أو تفاعل معها) كان يسمه بأنه طيب القلب أو غليظ القلب أو حسود أو كريم النفس وسواها.

أي نمذجة سلوك الناس الذين يتفاعل معهم ويتخلل ذواتهم بهذه الكيفية تكون النمذجة ممثلة لحكم ذاتي يتضمن معايير ذاتية - اجتماعية تعكس تأثيرات المحيط الاجتماعي الذي يعيش في وسطه الفاعل.

أما وسيلة التعبير عن النمذجة فهي اللغة التي شبهها "شوتز" ببيت المال لتعطي معنى ودلالة عن النموذج الذي نحتة أو شكله أو بناءه الفاعل في تفاعله وتحلله الذاتي مع الآخر.

علما أن المحيط الاجتماعي للفاعل يلعب دورا حيويا في اختيار العبارات اللغوية التي تصور ذلك النموذج الذاتي الذي تبلور بوساطة تخلل ذوات الفاعل.

مفهوم نظري ثالث:

بالإضافة إلى ما سبق من مفاهيم هناك مفاهيم أخرى منها ما ذكره شوتز عن "ذخائر الخبرات" التي شبهها بكتاب الطبخ الذي تجد فيه ربة البيت مقادير طبخ الطعام وكيفية إعداده وتقديمه على شكل طبق شهى جاهز للأكل.

أي أن ما يسجله الفاعل من خبرات ذاتية مع الفواعل الذي يتفاعل معهم لا يقوم بتكديسها لتكون تراكما من الخبرات ، بل يصنفها حسب أنواعها وطبيعتها فالفاعل

النمى على سبيل المثال يتسم بصفات تحددها خبرته مع الآخرين من هذا النوع من
الفاعل ، وغالبا ما تلعب معايير محيطه وثقافته وعلاقته دورا في تكوين خبراته (1).

محاضرة رقم (15)

4-6 منهج الفنونولوجيا :

تستخدم الفنونولوجيا للإشارة إلى كل ما هو واضح و ثابت في الإدراك أو
الوعي بالشعور الضروري ، بهذا المعنى فهي تسعى إلى وصف ظواهر الوعي
وتوضيح كيفية تشكلها ، ويرفض "هوسرل" رفضا صريحا للنزعة السيكلولوجية
ومناهجها ، ذاهبا إلى أن العلوم التي تدرس الإنسان بما في ذلك علم النفس وعلم
الاجتماع، تحاول تفسير الخبرات الإنسانية من خلال مجموعة من الأسباب الخارجية
والداخلية، وهي أسباب تعبر عن وجهة نظر الباحث أكثر مما تعبر عن وجهة نظر
المبحوثين (1).

وفي كتابات "هوسرل" اللاحقة وسع من نطاق الظاهريّة لتصبح فلسفة شاملة تحاول
تحديد مجال "الخبرة الخالصة" التي نشأت من خلالها كل العلوم الاجتماعية ، فهي
جهد موجه لوصف الظواهر كما تتبدى لنا من خلال وعينا بها (إدراكنا لها) وبذلك
يصبح الوعي وسيلة وهدفا للظاهريّة.

ويعد "الفريد شوتز" (1899-1959) هو من أرسى الإمكانات
السوسيولوجية التي تنطوي عليها الظاهريّة ، فقد حاول من خلال مؤلفه
"فينومينولوجيا العالم الاجتماعي" تفسير الظواهر من خلال الناس "العاديين"
و"الخبراء" والهدف من ذلك توضيح الثراء الفكري الذي يمكن أن تنطوي عليه
محاولات "التنظير"، بالاعتماد على الخبرات الشائعة .

ولقد عالج "شوتز" العديد من القضايا : الواقع الاجتماعي ، مجالات المعنى ، البناء
الاجتماعي ، التشيؤ ، والافتراض الأساسي الذي تنهض عليه هذه القضايا هو أن

(1) موقع الكتروني.

(1) عبد الله عبد الرحمان : النظرية في علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص 176.

"الحياة اليومية" التي تمثل نمط من التنظيم الاجتماعي ، وان العالم المحسوس والخبرة الحياتية يمثلان الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع⁽²⁾.

5-6 تعليق عام على الاتجاه الفينومينولوجيا:

لا شك أن هذا الاتجاه يركز على دراسة المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع بوصفها أساسا للحياة الاجتماعية، وبإهمال الاختلافات والصراعات الواقعية داخل المجتمع ، ويتعارض ذلك تماما مع التحليل العلمي الواقعي للمجتمع الذي يبين بالأدلة القاطعة أن العالم تمزقه الصراعات على كافة المستويات ، وأن القدر المتاح من المعاني والخبرات المشتركة بين الأفراد في المجتمع الواحد أو في مجتمعات العالم اقل بكثير من الاختلافات والصراعات، فهناك صراعات عديدة بين الشباب والشيوخ، النساء والرجال، الأغنياء والفقراء ، الأميون والمتعلمون ، أصحاب السلطة والقوة والخاضعين لهم ، الاشتراكيون والرأسماليون العالم الثالث والبلدان المتقدمة.

أي أن المسئلة الأساسية التي تنص عليها التحليلات الفينومينولوجية عن طبيعة الواقع الاجتماعي (الخبرات الفكرية المشتركة) ، لا تدعمها الأدلة الإمبريقية بل هناك أدلة تنفيها ، وقد تجاهل أصحاب الاتجاه الفينومينولوجي مسألة الصراع الطبقي العنيف في مجتمعاتهم، ورفضوا حتى أن يروه أو يسيروا إليه أو يفسروه على الرغم من أنه كان يفرض نفسه على الجميع ، كما أنهم تجاهلوا الواقع الاجتماعي الاقتصادي للمجتمع ودرسوا الخبرة اليومية وأسلوب التفكير كما لو كانا منفصلين عن الواقع ولا يتأثران به⁽¹⁾.

ويرى العديد من النقاد بان الاتجاه الفينومينولوجي اتجاها محافظا من الناحية الإيديولوجية.

(2) السيد الحسيني : نحو نظرية اجتماعية نقدية ، مرجع سابق ، ص 249.

(1) موقع الكتروني

محاضرة رقم 16:

نظرية التمثيل المسرحي: تأسيسها ؛ مبادئها

وتطبيقاتها العملية والبحثية

تعد نظرية التمثيل المسرحي من النظريات الحديثة في علم الاجتماع اذ انها تأسست في منتصف القرن العشرين؛ وقبل تأسيسها كانت جزءاً او فرعاً من النظرية التفاعلية الرمزية التي انشقت من نظرية الدور في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين . ان هذه النظرية تعتقد باننا كلنا ممثلون ولكوننا ممثلين ندخل الى الحياة التي هي مسرح كبير من باب ونخرج من المسرح من الباب الاخرى".

وعندما نمثل على خشبة المسرح نقيم الآخرين والآخرين يقيموننا. علماً بأن التقييم سواء كان ايجابياً او سلبياً انما يعتمد على طبيعة التمثيل الذي نمثله على خشبة المسرح. ان هذا الفصل الذي يتناول بالدراسة والتحليل نظرية التمثيل المسرحي يتكون من ثلاثة مباحث رئيسية هي ما يلي:

اولاً: المبحث الاول: تأسيس نظرية التمثيل المسرحي.

ثانياً: المبحث الثاني: المبادئ التي تركز عليها نظرية التمثيل المسرحي.

ثالثاً: المبحث الثالث: التطبيقات العملية والبحثية لنظرية التمثيل المسرحي.

والآن علينا دراسة هذه المباحث بشيء من التفصيل والتحليل

وكما يلي:

اولا: المبحث الاول: تأسيس نظرية التمثيل المسرحي:

ظهرت هذه النظرية عام 1954 عندما نشر مؤسس النظرية او المدرسة البروفسور ارفن كوفمن (erving coffman) مؤلفه الموسوم " عرض الذات في الحياة اليومية " . والكتاب يحتوي على ما يتعلق بنظرية التمثيل المسرحي. علماً بأن البروفسور كوفمن هو كندي الجنسية وسبق ان تلقى دراساته العليا في الولايات المتحدة الامريكية اذ حصل على شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع عام 1950. من جامعة شيكاغو الامريكية ويعد بالأساس من انصار المدرسة التفاعلية الرمزية والتي تعد جزءاً من نظرية الدور. غير ان كوفمن قد عارض التفاعلية الرمزية وانتقدها في دراسات منشورة وانشق على مؤسسيها امثال البروفسور جورج هيربرت ميد و أي. دبليو. توماس. ويعد انشقاقه وانتقاده وخروجه من التفاعلية الرمزية اسس مدرسة جديدة في علم الاجتماع وهي مدرسة التمثيل المسرحي التي تعد من المدارس الاجتماعية الحديثة في علم الاجتماع وعلى الرغم من اعتراضه على التفاعلية الرمزية وخروجه منها الا انه استمر بالاعتقاد ببعض المبادئ والطروحات التي تؤمن بها التفاعلية والتفاعلية الرمزية وبخاصة ما جاء به جارلس كوكلي زعيم المدرسة التفاعلية. ذلك ان كوفمن قبل تأثره بالنظرية التفاعلية الرمزية سبق ان تأثر بطروحات ومبادئ واسس النظرية التفاعلية. ومع هذا فان المدرسة التي اسسها كوفمن تختلف كثيراً بأفكارها وطروحاتها عن ما جاءت به المدرستان التفاعلية والتفاعلية الرمزية من آراء وافكار ومبادئ.

ان الاختلافات الشاخصة بين نظرية التمثيل المسرحي والنظرية التفاعلية والنظرية التفاعلية الرمزية هي ان نظرية التمثيل المسرحي تعتقد بأن تمثيل الانسان لدوره على خشبة المسرح وخشبة المسرح هي الحياة الاجتماعية اليومية التي نعيشها يكون بطريقة انه اي التمثيل يظهر الجوانب الايجابية للدور الذي يمثله الفرد امام مسؤوله الكبير كالأب او المعلم او رب العمل او رئيس الدائرة ويخفي الجوانب السلبية وغير المرغوبة عن المسؤول. ومثل هذا النوع من التمثيل يجعل المسؤول راضياً ومقتنعاً بشخصية الممثل او الذي يعمل تحت امرته؛ وهنا يكون الاخير ناجحاً في حياته ومقيماً من المسؤول وان المسؤول يحمل عن التابع المواقف

والافكار الجيدة؟. وعندما تصل هذه المواقف والافكار الى التابع فانه يقيم نفسه عالياً؛ اي ينظر الى نفسه في المرأة نظرة مليئة بالرضا والقناعة والفخر.

اما التفاعلية فتختلف بأفكارها عن التمثيل المسرحي والاختلاف هنا هو ان التفاعلية لا تنظر الى الدور الذي يمثله الفرد في الحياة اليومية امام الآخرين؛ بل تنظر الى عملية التفاعل بين الفرد والآخرين. فهذا التفاعل ينتهي بتقييم الفرد من قبل الافراد الذين تفاعلوا معه عبر فترة من الزمن والتقييم قد يكون ايجابياً او سلبياً. فاذا كان ايجابياً فان الفرد يقيم نفسه بصورة

ايجابية؛ اي ينظر الى ذاته في المرأة. والعكس هو الصحيح اذا كان تقييم المجتمع له سلبياً. والتفاعلية الرمزية تختلف عن التمثيل المسرحي بجوانب كثيرة منها انها لا تنظر الى الدور الذي يمثله الفرد على خشبة المسرح او المجتمع بل تنظر الى التفاعل الذي يحدث بين الافراد لفترة من الزمن؛ وبعد التفاعل تبدأ الجماعة المتفاعلة بتقييم كل فرد فيها على انه رمز وهذا الرمز قد يكون محبباً او مستهجنأ بناء على الصورة الذهنية التي كونها كل شخص في الجماعة نحو الشخص الآخر. وعندما يصل التقييم الرمزي الى الشخص المعني فانه يقيم نفسه بموجب التقييم الذي حصل عليه من اعضاء الجماعة الذين تفاعل معهم.

وهكذا يمكن تحديد اوجه الشبه والاختلاف بين نظرية التمثيل المسرحي والنظرية التفاعلية والنظرية التفاعلية الرمزية.

محاضرة رقم 17:

المبادئ التي تعتقد بها نظرية التمثيل المسرحي

تعد نظرية التمثيل المسرحي من النظريات المهمة التي تضيف الى ميدان الميكرومسيولوجي (micro sociology) لأنها تهتم بدراسة العلاقة بين شخصين أحدهما يحتل مكانة رفيعة والآخر يحتل مكانة أدنى. والنظرية تضيف الى ميدان علم النفس الاجتماعي لأنها تتطرق الى دراسة المواقف داخل الجماعات الصغيرة» وانها مبال الحياة الاجتماعية وفقاً للأدوار التي يمثلها الفرد في الحياة الاجتماعية اليومية؛ اي يمثل ادواره في المسرح» اي الحياة الاجتماعية التي نعيشها. علماً بأن هذه الحياة تشهد نوعين من الافراد: النوع الاول يتكون من افراد ناجحين يعرفون كيفية تمثيل الانوار امام الآخرين لاسيما امام المسؤولين؛ والنوع الثاني يتكون من افراد فاشلين لا يعرفون كيفية تمثيل ادوارهم مع الكبار والمسؤولين والمدراء. فالفرد الناجح في الحياة هو الذي يجيد تمثيله لدوره امام الكبار اذ يحصل على رضاهم واستحسانهم؛ بينما الفرد الفاضل في الحياة هو الذي لا يعرف كيفية تمثيل دوره امام مسؤوليه. فتمثيله الفاشل يثير سخط واستهجان مسؤوليه له؛ وبالتالي اخفاقه في الحياة وعدم تقدمه في اما المبادئ الاساسية التي تركز عليها نظرية التمثيل المسرحي فيمكن اجمالها بعشر نقاط اساسية هي كما يلي:

1. ان الحياة الاجتماعية التي نعيش فيها ما هي الا مسرح كبير له باب يدخل من خلالها الممثلون وباب اخرى يخرج منها الممثلون بعد الانتهاء من فصول او مشاهد تمثيلهم. والممثلون ههنا هم الافراد الذين يعيشون في المجتمع ويمثلون ادوارهم امام الآخرين سواء كانوا اعلى أو اوطأ منهم.

2. ان الافراد الذين يعيشون في المجتمع او في الحياة الاجتماعية هم عبارة عن ممثلين في هذا المسرح الكبير اذ ان كل فرد هو ممثل امام الآخرين!.

ولما كان ممثلاً فانه يدخل من باب ويخرج من الباب الاخرى للمسرح الذي يمثل فيه.

3. ان الممثلين الذين هم ابناء المجتمع يمثلون ادواراً اجتماعية مختلفة منها ادوار رئاسية وادوار مرؤسية وادوار وسطية. ذلك ان الممثل اما يكون رئيساً او مرؤساً وان دوره هو الذي يحدد مركزه التمثيلي".

4. يدخل الفرد الى المسرح للتمثيل في بدء حياته التمثيلية؛ أي بدء حياته الاجتماعية ويخرج الفرد من المسرح في نهاية حياته التمثيلية؛ اي في نهاية حياته الاجتماعية التي يعيشها".

5. يلعب الفرد ادواره في حياته اليومية كممثل. فاذا اجاد لعب الادوار فانه يلقي الاحترام والتقدير من الآخرين وبخاصة الاعلى منه. واجادة لعب الادوار تعني اظهار الجانب الجيد من سلوكه وشخصيته وعلاقاته واخفاء الجانب السيء. اما اخفاق الفرد في لعب الادوار التي يقوم بتمثيلها في المجتمع فانه يلقي الرفض والاستهجان والتأنيب والمقاطعة من قبل ابناء المجتمع لأنه اظهر لهم الجانب السلبي من شخصيته واخفى عنهم الجانب الايجابي.

6. يحاول الفرد عند تفاعله مع الآخرين لاسيما الافراد الاعلى منه درجة ان يظهر امامهم الوجه الجيد من شخصيته واخفاء الوجه السلبي والقبيح؛ لان اظهار الوجه القبيح امامهم سيدفعهم الى استهجانه ومقاطعته والوقوف ضده.

وهذا ما يسبب فشل الفرد في مهامه واعماله. لذا فالفرد كلاعب أو ممثل للأدوار غالباً ما يظهر الوجه الجيد والايجابي لشخصيته ويخفي الوجه القبيح والمرفوض املا في قبوله من لدى المجتمع مع تقييم سلوكه اليومي والتفصيلي.

7. في بعض الحالات يلعب الفرد دوره او يمثل دوره بطريقة تظهر امام المسؤولين الجوانب السلبية لذاته؛ ويخفي وراء المسرح الجوانب الايجابية. ان هذا الشخص لا ينجح في حياته العامة والخاصة لأنه لا يعرف كيف يمثل ادواره امام الآخرين؛ اي لا يعرف كيفية تقمصه للشخصية المحببة والمفضلة من المجتمع؛ فيكون مرفوضاً من المجتمع ولا ينال رضاه وقبوله لأنه لا يعرف كيفية التمثيل امامهم؛ اي لا يعرف كيفية عرض ذاته بجوانبها الايجابية امام الآخرين؛ بل على العكس يجيد عرض ذاته بجوانبها السلبية والمستهجنة والمرفوضة

8. عندما يعرض الفرد خلال فترة التمثيل الجوانب الايجابية عن شخصيته ويخفي الجوانب السلبية فان الآخرين يكونون صورة ذهنية ازاءه؛ وهو نفسه يكون صورة ذهنية نحو الآخرين. وهذه الصورة هي التي تحدد تقييمه للآخرين وتقييم الآخرين لها". وهذه الحقيقة انما تتناغم مع ما جاء به جارلس كوكلي في كتابه الموسوم " الطبيعة البشرية والنظام الاجتماعي ".
علماً بأن جارلس كوكلي هو من اقطاب النظرية التفاعلية التي تنص على ان الفرد يقيم ذاته وفقاً لتقييم المجتمع له.

9. ان الصورة التي يحملها الآخرون عن الفرد بعد قيامه بتمثيل الادوار التي يؤديها هي التي تدفعه الى تقييم ذاته وبالتالي تقييم الآخرين. ذلك ان تقييم الفرد من قبل الآخرين هو الذي يدفعه الى تقييم ذاته؛ لأن تقييم الذات يعتمد على تقييم الآخرين للفرد .

10. الحياة الاجتماعية التي نعيشها انن هي رحلة يدخل فيها الانسان من باب ويخرج من الباب الآخر. وفي هذه المرحلة يمثل الفرد ادواره امام الآخرين والآخرين يمثلون ادوارهم امام الفرد. وهذا التمثيل الذي يقوم به طرف امام الطرف الآخر هو هو الذي يكون الصورة النمطية (stereotyped)

التي يحملها كل طرف نحو الطرف الآخر. وهذه الصورة النمطية عندما تصل الى الفرد فانه يقيم نفسه بموجب طبيعتها وشكلها".

يمكن تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على عدد من الابحاث الاجتماعية التي تدور حول العلاقة الانسانية بين الافراد والجماعات.

ان هذه النظرية تعد جزءاً من النظرية التفاعلية؛ والنظرية التفاعلية الرمزية ولكنها تبحث الموضوع بطريقة ابعد واعمق مما تبحثه التفاعلية الرمزية، انها تبحثه من حيث تفسير النجاح او الفشل وفقاً لجودة الفرد في تمثيله الادوار المناطة به.

يمكننا تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على عدة موضوعات بحثية في المبحث الثالث من الفصل.

محاضرة رقم 18:

تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على بعض الابحاث الاجتماعية:

يمكن تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العديد من الابحاث التي تتعلق بالصلة التي تربط طرفي العلاقة الإنسانية؛ طرف يحتل مكانة عالية وطرف آخر يحتل مكانة متدنية او واطنة كدراسة العلاقة بين المعلم والطالب والعلاقة بين الضابط والجندي والعلاقة بين الاب والابن.

والآن علينا تطبيق النظرية على هذه الابحاث الثلاثة وكما يلي:

1. تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العلاقة بين المعلم والطالب:

المعلم يمكن ان يمثل امام الطالب والطالب يمكن ان يمثل اما المعلم. فاذا أجاد كل طرف التمثيل ازاء الطرف الآخر اي اظهر الجوانب الايجابية والمقيمة لشخصيته للطرف الآخر فان علاقته به تقوى وتتعمق وتستمر؛ بينما اذا اظهر كل طرف ازاء الطرف الآخر الجوانب غير المحببة لشخصيته ولم يعرف كيفية جذب الطرف الآخر له فان العلاقة بين الطرفين ستكون ضعيفة او متوترة. وهنا لا ينجح الطالب في حياته العلمية والاجتماعية مع المدرس اي لا ينال التقييم الذي يستحق من المدرس. وهنا تفتقر او تنقطع العلاقة بين الطرفين المتفاعلين. ان الطالب اذا اراد ان ينجح في علاقته مع المعلم فانه يجب ان يمثل امامه بطريقة تجذب نظر المعلم؛ اي يقوم الطالب بإظهار الجوانب الايجابية لشخصيته وإخفاء او تغطية الجوانب السلبية للشخصية. وهنا يكون المعلم الانطباع الايجابي والجيد نحو الطالب. واذا ما وصل هذا الانطباع الايجابي الى سماع الطالب فان الطالب يقيم نفسه بصورة ايجابية؛ اي ينظر لذاته نظرة ليئة بالاحترام والتقدير لأن احترام الطالب لنفسه يأتي من احترام المعلم واحترام الآخرين له. وهنا يستطيع الطالب تكييف نفسه للمحيط الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

ومن جهة ثانية اذا لم يحسن الطالب تمثيل الدور الذي يحتله امام المعلم؛ اي يظهر للمعلم الجوانب السلبية وغير السلبية المستحبة لشخصيته ويخفي او يغطي الجوانب الايجابية فان المعلم لا يمكن ان يقرب الطالب له ولا يحترمه مطلقاً. وعندما يصل ل عدم احترام المعلم للطالب الى اسماع الطالب فان الطالب لا يحترم ولا يقيم ذاته؛ وبالتالي لا يستطيع التكيف للمجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

والشيء نفسه يكون صحيحاً في حالة تمثيل المعلم امام الطالب. فالمعلم يمكن ان يجذب الطالب اليه اذا مثل دوره تمثيلاً ايجابياً؛ اي اظهر في التمثيل الجوانب الايجابية من شخصيته امام الطالب واخفى او غطى عن الطالب الجوانب السلبية التي لا يريد كشفها امام الطالب. ان هذا الحال يجذب المعلم للطالب وبالتالي يكون المعلم شخصاً مرغوباً امام الطالب؛ فتقوى العلاقة الانسانية بينهما. وعندما يحمل الطالب الانطباع والصورة الذهنية الايجابية نحو المعلم» وهذه الصورة تصل الى اسماع المعلم فان المعلم يقيم نفسه ايجابياً في المجتمع. وهنا يستطيع المعلم التكيف للبيئة او الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه؛ وبالتالي يكون معلماً ناجحاً مع الطلبة والمجتمع الكبير لأنه يعرف كيفية التفاعل والتجاوب مع الآخرين في بيئته سواء كانوا طلبة أو مواطنين اعتياديين.

لذا فالعلاقة بين المعلم والطالب تقوى وتتطور اذا قام كل طرف من اطراف العلاقة بإظهار الجوانب الايجابية من شخصيته واخفاء او تغطية الجوانب السلبية. بينما ضمحل او تنقطع العلاقة بين الطرفين الطالب والمعلم اذا لم يعرف كل طرف طريقة التمثيل التي يرغب بها الطرف الآخر. اذا في التمثيل يمكن ان يكون الفرد ناجحاً اذا اظهر للطرف الآخر الجوانب والسمات الايجابية للشخصية لأن هذا يجذب كل طرف الى الطرف الآخر ويقوي العلاقات بينهما.

2. تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العلاقة بين الضابط والجندي:

يمكن تفسير العلاقة بين الضابط والجندي وفقاً لنظرية التمثيل المسرحي اذ ان الجندي يمكن ان يلقي الاستحسان والتأييد والمآزرة من الضابط اذا قام بتمثيل دوره على اسس ما يريده الضابط ويرغب به؛ اي انه يمثل امام الضابط بطريقة تجسد ذلك الجزء الايجابي والمستحب من شخصيته وذاتيته وتخفي او تغطي عن الضابط ذلك الجزء السلبي والقيبح من شخصيته اي من شخصية الجندي فاذا مثل الجندي امام الضابط بالطريقة التي تعجب الضابط وتغريه نحو الجندي فان الجندي يكون ناجحاً في عمله امام الضابط اذ يلقي من الاخير الاستحسان والتقييم والمدح والثناء. وهنا يكون الجندي مقرباً للضابط وناجحاً في عمله. وعند علم الجندي بهذا التقييم العالي الذي يحصل عليه من الضابط فانه اي الجندي يقيم نفسه علماً لأن تقييم الفرد لذاته يأتي من تقييم الآخرين له كما تؤكد على ذلك النظرية التفاعلية. وحالة كهذه تقود الى نجاح الجندي في مهامه وبالتالي حسن استقراره وتكيفه في الوسط الذي يعمل

فيه ويتفاعل معه.

اما اذا لا يعرف الجندي تمثيل دوره بصورة ايجابية امام الضابط» اي لا يظهر الجوانب السلوكية التي يستحسنها الضابط بل يظهر الجوانب التي ينمها الضابط وينتقدها فان الجندي يكون فاشلاً في علاقته مع الضابط اي يكون مرفوضاً ومعاباً من الضابط. وعند وصول هذا التقييم الى الجندي فان الجندي لا يقيم نفسه بصورة ايجابية؛ الامر الذي يسيء الى حالة تكيف الجندي للوسط الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

وهنا يكون الجندي فاشلاً في عمله وحياته لأنه لا يعرف كيفية تمثيل دوره مع الأعلى منه. والشيء نفسه ينطبق على تمثيل دور الضابط امام الجندي؛ فالضابط يستطيع كسب الجندي اليه اذا حسن تمثيل ادواره امام الجندي اي تصرف وفقاً لما يريده الجندي. وهذا التصرف يملئ عليه اظهار الجوانب الايجابية لسلوكه وشخصيته امام الجندي وتغطية الجوانب السلبية؛ مما يجنب ذلك الجندي الى الضابط وبالتالي تظهر العلاقة الحميمة والقوية بين هذين الشخصين:

ذلك ان السلوك الايجابي للضابط امام الجندي يجعل الجندي منجذباً ومقيماً للضابط وعندما يصل التقييم الايجابي الذي يحمله الجندي عن الضابط فان الضابط لابد ان يقيم نفسه بصورة ايجابية؛ اي ينظر لذاته بطريقة مليئة بالاحترام والتقييم. وهذا ما يمكن الضابط من التكيف للعمل الذي يمارسه او المحيط الذي يعيش فيه. وهنا يمكن القول بأن الاجادة في تمثيل الادوار امام الآخرين انما تقود الى انجذاب الافراد بعضهم الى بعض وبالتالي نجاحهم في المهام التي يقومون بها واستقرارهم في الوسط الذي يعيشون فيه.

محاضرة رقم 19:

3. تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العلاقة بين الاب والابن:

يمكن تطبيق نظرية التمثيل المسرحي على العلاقة بين الاب والابن. فالابن يمكن ان يكون محبوباً من قبل ابيه اذا مثل دوره بطريقة يريد بها ويرتضيها الاب. وهذا يكون عن طريق التقيد بالسلوك والممارسات التي يفضلها الاب ويرغب بها. وهنا يتطلب من الاب التعرف على ما يريده الاب ويرتضيه من ممارسات وعلاقات لكي يأخذ بها الابن؛ واذا ما اخذ بها فانه لا يكون مقرباً للاب ومحبوباً من قبله. وعندما يكون الابن مرغوباً من قبل ابيه ومقبباً من قبله فان هذا التقييم سرعان ما يصل الى الابن فيقيم الابن ذاته تقييماً عالياً لان تقييم الذات يعتمد على تقييم الآخرين لها. وعندما يقيم الابن نفسه تقييماً ايجابياً عالياً فانه يكون ناجحاً في حياته وبالتالي يكون في موقع يستطيع من خلاله التكيف للمجتمع الذي يعيش فيه او العمل الذي يمارسه. علماً بأن السلوك الذي يمكن ان يلتزم به الابن والذي يرضي ابيه يتكون من المفردات الآتية:

1. اطاعة الاب طاعة كلية والالتزام والتقيد بجميع اوامره ونواهيه بدون كلل او ملل.
 2. احترام الاب وتقديره واعتباره مثلاً اعلى للسلوك والاخلاق والقيم والمبادئ.
 3. تقمص شخصية الاب وتقليده في الصغيرة والكبيرة الى درجة ان الابن يكون صورة مجسدة ومعبرة عن شخصية ابيه.
 4. توجه الابن لبناء شخصيته ومستقبله وفقاً لما يريده الاب ويطلبه. فاذا أراد الاب ان يكون ابنه مدرساً او طبيباً او ضابطاً فان الابن ينبغي ان يسعى من أجل الوصول الى هذه المهن والاعمال عن طريق الدراسة والتدريب والتحصيل العلمي.
 5. ملازمة الابن لأبيه في جميع الاحوال والظروف وعدم الابتعاد عنه او تركه مع استعداد الابن العالي على التضحية ونكران الذات في سبيل اسعاد ابيه وتحقيق طموحاته القريبة والبعيدة.
- اذا تقيد الابن بمفردات المبادئ والممارسات التي يريد بها الاب فان الاخير يحمل الانطباع العالي نحو الابن الى درجة ان الاخير يكون ناجحاً وموفقاً في حياته.

اما اذا لم يمثل الابن دوره كما يريد منه ابيه واطهر الابن الجوانب السلبية من شخصيته وسلوكه لأبيه فان الاب سيرفض الابن ولا يحترمه وبالتالي لا يكون الابن ناجحاً في حياته لأنه لا يحظى بتقدير وتقييم الاب له. وعند رفض الاب للابن وعدم تقييمه فان هذا الرفض سرعان ما يصل للابن فلا يقيم الابن ذاته تقييماً ايجابياً؛ اي ينظر نظرة دونية لذاته وبالتالي لا يستطيع التكيف لمحيطه ولا يكون محترماً من قبل الآخرين.

لذا فاحترام الابن من قبل الاب انما يعتمد على تمثيل دوره امام ابيه؛ فاذا كان التمثيل بطريقة ترضي الاب وتقنعه فان الابن يكون مقبولاً ومقرباً من ابيه؛ وبالتالي يكون ناجحاً في علاقته مع الاب. اما اذا لا يعرف الابن تمثيل دوره بالطريقة التي يريد بها الاب ويرتضيها فان الابن لا يكون مقبولاً او مقرباً من ابيه؛ اي يكون فاشلاً في علاقته مع الاب وربما مع الآخرين. ومثل هذا الفشل لا يمكنهم اجراء التكيف الصحيح للوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه.

ظهر في مجموعة الثقافات المضادة للثقافات السائدة، ويعكس عموماً مرحلة التمرد الفكري من جانب مجموعة كبيرة من روادها بمحاولة طرح أفكار واطر تصويرية ومرجعية جديدة تختلف كلية عن مرحلة الحداثة⁽¹⁾.

إن كثير من آراء أصحاب النظرية جاءت لتحليل الواقع الاجتماعي، وذلك من خلال إعادة تحليل آراء النظريات السوسيولوجية مثل آراء ماركس الأصلية، كما لاحظنا أن بعض الآراء جاءت من منظور تشاؤمي في تحليلاتها للواقع الاجتماعي وهذا ما جاء في آراء "ليوتار" وتصوراته حول إستراتيجية الهلاك بالإضافة إلى ذلك جاءت محاولات بعض رواد نظرية ما بعد الحداثة لتعيد الاهتمام بالنظرية السوسيولوجية.

المراجع:

- 1- عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1998.
- 2- زينب رضوان: النظرية الاجتماعية في الفكر الإسلامي، دار المعارف الإسكندرية، 1982.
- 3- خير الله عصار: محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي، د.م.ج، الجزائر 1982.
- 4- علي شتا: نظرية علم الاجتماع، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2004.
- 5- عبد الباسط حسن: أصول البحث العلمي، مطبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الثانية، 1966.
- 6- محمد عاطف غيث: دراسات في تاريخ التفكير الاجتماعي واتجاهات النظرية في علم الاجتماع، دار النهضة العربية بيروت، 1975.

(1) موقع الكتروني.

- 7-Mills, C.W.: The Sociological Imagination; Penguin Books, 1971,
- 8- خالد حامد: مدخل إلى علم الاجتماع : جسور للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2015.
- 9- قباري محمد إسماعيل : قضايا علم الاجتماع المعاصر "دراسة تحليلية نقدية" ، منشأة المعارف ، الإسكندرية 1976.
- 10- محمود عودة : أسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- 11- احمد أبو زيد: البناء الاجتماعي "مدخل لدراسة المجتمع، المفاهيمات" ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، 1965.
- 12-Soperato, J; Functional Reappraisal of Pareto's Sociology in American Sociological Review , Vol. 69, No. 6, 1969 .
- 13- عبد الله محمد عبد الرحمان : النظرية في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 .
- 14- علي عبد الرزاق الجبلي : أسس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، دون سنة نشر.
- 15- قباري محمد إسماعيل : قضايا علم الاجتماع المعاصر، دراسة تحليلية نقدية منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1976 .
- 16- محمد حسين غلوم : النظرية الاجتماعية ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1999.
- 17- عبد الله محمد عبد الرحمان : النظرية في علم الاجتماع المعاصر ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، مصر ، 2003 .
- 18- محمد علي محمد : تاريخ علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية الطبعة الثانية ، 1983.
- 19- السيد الحسيني : نحو نظرية اجتماعية نقدية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1985.
- 20- محمد عاطف غيث : دراسات في تاريخ التفكير واتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت 1975 .
- 21- السيد محمد الحسيني : النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم ، ط1، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، 1977.

- 22- إيمان كريب: النظرية الاجتماعية، ت: محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة ، الكويت، 1999.
- 23- إسماعيل على سعد : الاتجاهات الحديثة في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005.
- 24- انتوني غندر: علم الاجتماع ، ت: فايز الصّياح، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.
- 25- سناء الخولي: المدخل إلى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1998.
- 26- إحسان محمد الحسن : النظريات الاجتماعية المتقدمة ، دار وائل للنشر الإسكندرية ، 2005.
- 27- علي الشّتا : نظرية علم الاجتماع ، المكتبة المصرية ، الإسكندرية ، 2004.
- 28- الموقع الإلكتروني Google.
- 29- فريد كامل أبو زينة: مناهج البحث العلمي ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، ط2، 2007.
- 30- ميشيل مان : موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة : عادل مختار الهواري وسعد عبد العزيز مصلوم ، دار المعرفة، الإسكندرية.
- 31- عبد الله عبد الرحمان : سوسيولوجيا الاتصال والإعلام ، النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة ، دار المعرفة الجامعية، 2006.